صورة تبين انهيار قيمة العملة الألمانية بعد الحرب العالمية الأولى حيث تقوم ربة المنزل باستخدام النقود كوقود لتسخين الطعام حيث فقدت قيمتها .

طال بنا الحديث عن الحرب العالمية الأولى رغم ما توخيناه من إيجاز إذ كان هدفنا فحسب استخلاص صورة « الإنسان الألمانى » فى أتون معارك الحرب . ولاريب أن ملامح قسمات الإنسان الألمانى قد اتضحت معالمها

فى ضوء ميزان الحرب العالمية الأولى : إنسان أوروبى بارع فى الإعداد للحرب ، فذ القدرات فى خوض معارك القتال ، يحارب بشجاعة وبسالة وضراوة ، ويكسب أصعب المعارك فى أقسى الظروف ، وينتصر حيث يتوقع له الناس الهزيمة ، ولكن ظروف الإنسان الألمانى بالنظر إلى موقع ألمانيا الجغرافى تحيط بها دول أوروبية أخرى تفرض عليه الهزيمة فى النهاية مرة تلو أخرى مما يدل على « براعة عسكرية » .. واستعداد بدنى وعقلى بارزين .

كانت ألمانيا قد خرجت مهزومة من الحرب العالمية الأولى [ ١٩١٤ — ١٩١٨ ] على الرغم من أن جنودها كانوا قد حققوا انتصارات كبرى فى بداية سنى هذه الحرب ، وكانت اتفاقية فرساى فى ٢٨ يونيو ١٩١٩ قد فرضت على الألمان شروطاً ظالمة مجحفة متشددة ثقيلة الوطأة على الإنسان الألمانى سياسياً واقتصادياً عسكرياً ومن مختلف أوجه الحياة كما سبق أن أشرنا .

كان المواطن الألمانى يسأل : هل هذا هو « ما ينبغى أن يكون ؟ » . وكانت الإجابة هى: لا !

كان المواطن الألمانى يسأل : كيف السبيل لتحقيق ما ينبغى أين يكون ؟ وكان أيضاً يبحث عن سوبرمان ، ويسأل : أين البطل ؟ من البطل ؟ متى وكيف سيظهر البطل ؟

وكانت مهمة « أدولف هتلر » سهلة ليلعب فى حياة الألمان دور البطل الزعيم الفوهرر الذى سيجعل « الظلم الأوروبى » ينقشع عن حياة المواطن الألمانى الذى ظلمته حضارة الغرب وقست عليه دول الغرب بموجب شروط معاهدة فرساى .

وظهرت النازية ، وبزغ نجم « أدولف هتلر » ، الفوهرر أو الزعيم .

وليس هذا التسلسل فى تتبع حركة الفكر الألمانى خبط عشواء من جانبنا . إن مأساة « **رودلف هيس** » بين الألمان والإنجليز والروس هى دليل حق وشاهد صدق على تسلسل تاريخ الفكر الألمانى كما ألمحنا إلى تتابع حلقاته . ولا ينبغى المرور بأقوال « **رودلف هيس** » دون تدبر معناها .

# ظهور الزعيم المرتقب ...

هتلر الزعيم المرتقب والذى بشربه البروفيسور هوشوفير .

يقول رودلف هيس : « كان البروفيسور يقول لى من آن لآخر بصيغة الجزم والتأكيد : سوف يظهر فى ألمانيا ذات يوم زعيم سيجعل الألمان هم أسياد العالم » .

ويقول هيس : طلبت من البروفيسور « كارل هوشوفير أن يصف لى هذا الزعيم المنتظر فقال لى : « إنه رجل غير عادى . إنه يتمتع بمواهب فذة ، ويستطيع ذهنه أن يتوصل إلى أفكار متميزة !! » وسألته : ومتى سيظهر ؟ فقال : « إنه بيننا الآن . إنه سيحتل مكانه قريبا » !

ولو صح ورود مثل هذه الأقوال المنسوبة إلى « **هيس** » فى مذكراته لصح

ما ذكرناه عن تعلق الألمان بمثالية الفكر وتفانيهم فى سبيل « الواجب » وتعلقهم بما « ينبغى أن يكون » ، وفى إعلائهم من شأن « الذات الألمانية » ، وفى نزوعهم المستمر إلى « السوبرمانية » ، وفى تطلعهم إلى « البطل » أو « السوبرمان » أو « الزعيم » أو « الفوهرر » .

وعلى أى حال ، لم تتقبل النازية الألمانية التعاليم الشيوعية الماركسية المادية ، لتأصل المثالية فى الفكر الألمانى وتأثرهم بالفلسفات الفكرية « لكانت وهيجل » حتى « شيلبخ فوختة وشوبنهاور ونيتشه » بوجه عام ، ولأن روسيا كانت قد تحولت كلية إلى الشيوعية ، وأطماع روسيا مغايرة تماماً لأطماع ألمانيا بوجه خاص ، كما أن ما تبدعه عقول البشر مُعَرَّضٌ للخلاف بين البشر بوجه أخص ، ولكل هذه الأسباب كان لابد من الصدام بين الشيوعية والماركسية اللينينية الروسية وبين النازية الألمانية .

# هيس والبروفيسور هوشوفير

سبق أن ذكرنا أن بطل المأساة الأوروبية التى نعرض لها بالدراسة كان قد وُلد فى حى الإبراهيمية بمدينة الإسكندرية بمصر يوم السادس والعشرين من إبريل عام ١٨٩٤ لأبوين ألمانيين هما « فريتز هيس وكلارا هيس » ، وتلقى رودلف مبادىء تعليمه بمدرسة ألمانية من تلك المدارس الأجنبية التى كانت تنشؤها الجاليات الأجنبية بمصر . ولا ريب أن حياة الطفل رودلف قد تأثرت بعزلة أبناء الجاليات الغرباء الذين يشعرون شعوراً متزايداً بتزايد سنى عمرهم بأنهم غرباء عن وطنهم الأصلى مما يجعل كلاً منهم مستعداً و مهياً النفس لتضخم الشعور بحب وطنهم الأصلى .

ومن غير المعقول أن تقيم جالية أجنبية مدارس متوسطة أو مدارس عالية لأطفالها . إنهم يقتصرون فى العادة على المرحلة الابتدائية من التعليم ، أما الحلقات التعليمية ذات المستوى الأعلى فإن أبناء الجالية الأجنبية يكونون مضطرين إزاءها إلى الرحيل إلى وطنهم الأصلى لاستكمال حلقات تعليمهم ، ممايجعلهم إلى حد ما غرباء على أرض وطنهم حيث أنهم لم يقضوا طفولتهم به ، ولكن آفاق مداركهم تكون فى الغالب الأعم أوسع من آفاق مدارك أقرانهم ممن لم يبرحوا أرض الوطن ، وهكذا كان الحال بالنسبة لبطل مأساتنا الأوروبية « **رودلف فريتز هيس** » الذى ارتحل عن أرض مصر وغادر حى الإبراهيمية بالإسكندرية لدى بلوغه الخامسة عشرة من عمره إذ أوفده أبوه إلى مدرسة التجارة العليا بسويسرا ، وكان والده يصرح له بأنه ينوى إتمام تعليمه ـــ تعليم رودلف ـــ فى جامعة أكسفورد بإنجلترا ..

واندلعت الحرب العالمية الأولى أثناء دراسة « **رودلف هيس** » فى سويسرا ، وكانت سويسرا قد عقدت تحالفاً مع دول الوسط بزعامة ألمانيا ، فضلاً عن الاتصال الدائم بين سويسرا وألمانيا لاتصال الحدود الجغرافية بينهما إلى حد

الاندماج فى دولة واحدة فى أوقات من التاريخ ، وإلى حد أن غالبية شعب سويسرا يتحدثون اللغة الألمانية وحدها أو يتحدثونها بالإضافة إلى اللغة الفرنسية .

صورة للبروفيسور هوشوفير صاحب النظرية النازية والمبشر بظهور هتلر وألمانيا القوية .

وكان من الطبيعى وقد شحذت دول أوروبا السلاح ، واستنفرت كل قادر على القتال فى غمار الحرب العالمية الأولى ، كان من الطبيعى أن ينخرط بطل المأساة التى نعرض لها بالدراسة فى سِلْك الجندية فى صفوف الجيش الألمانى ، فهو ألمانى الجنسية دون منازع .

وحارب رودلف هيس فى فرقة من فرق المشاة الألمانية كان يطلق عليها اسم «فرقة المشاة البلغارية الأولى » ، وغالب الظن أن معظم أفرادها من البلغار المتحالفين مع الألمان مع تطعيم صفوفهم بجنود وصف ضباط وضباط من الألمان .

ومن المصادفات الغريبة أن ذات الفرقة العسكرية التى كان « **رودلف هيس** » يحارب بين صفوفها كانت تضم أيضاً العريف « أدولف هتلر » الذى سيصبح زعيم ألمانيا ، وسيعمل هيس كنائب له وإن لم يتعرف أحدهما على الآخر أثناء معارك الحرب العالمية الأولى ، إذ كان هيس ضمن صفوف وحدة عسكرية مقاتلة ، وكان هتلر ضمن وحدة إدارية ؛ ولكن معارك الحرب لا تفرق بين هذا وذاك فأصيب هيس برصاصة فى إحدى رئتيه ، وتعرض هتلر للإصابة من جراء غازات خانقة تعرضت لها المنطقة الإدارية التى كان يعمل بها .

والتهمت نيران الحرب العالمية الأولى مئات الآلاف من الضحايا قبل أن تضع الحرب أوزارها بهزيمة دول الوسط تحت زعامة ألمانيا رغم انتصار الجيوش الألمانية فى معارك بداية الحرب انتصارات رائعة متتالية ، إلا أن العبرة فى الحروب بالنهاية وليست بالبداية ، وليس كسْبُ معركة هو الانتصار فى الحرب ، وهو الأمر الذى يتطلب القدرة على الاستمرار فى القتال حتى يستسلم العدو ولا يستطيع تدبير قوات متجددة وعتاد جديد للاستمرار فى الحرب ليتحقق النصر لأحد طرفى الحرب ، وإلحاق الهزيمة بالطرف الآخر .

وفرضت دول الحلفاء المنتصرة بزعامة إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية شروط معاهدة فرساى القاسية على ألمانيا بوجه الخصوص على النحو الذى سبق أن ألمحنا إليه .

وذات يوم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تلقى « **رودلف هيس** » رسالة من والده الذى كان لا يزال مقيماً بمدينة الاسكندرية بمصر ليطلب الوالد من ابنه أن يفد إليه بمصر ليدير معه شئون تجارة والده . ولكن الابن « **رودلف هيس** » كان قد امتلأ حلقومه غيظاً لهزيمة وطنه ، ألمانيا ؛ و لم تعد شئون التجارة والمال هى التى تهمه وتعنيه ، ولكنه أصبح يهتم بالعالم وما يحدث له وما يجرى فيه . لقد اختير فى المرحلة الأخيرة من الحرب للتدريب على قيادة الطائرات المقاتلة ، ولما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها كان « **رودلف هيس** » قد أصبح من ضباط سلاح الطيران الألمانى برتبة كابتن ، وهى رتبة تماثل رتبة رائد فى الجيوش العربية ، وتحولت اهتمامات « **رودلف هيس** » من التجارة كما كان يرغب والده بمصر إلى شئون الحرب والسياسة .

ويلتحق « **رودلف هيس** » بجامعة ميونخ الألمانية ، وشرع هيس يدرس الجغرافيا السياسية والتاريخ والفلسفة .

— أراد هيس أن يفهم العالم من حوله ، وكيف هُزِمَتْ ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، وكيف انتصرت بريطانيا ؛ ومن هنا بدأ اهتمام هيس بدارسة التاريخ ، عساه أن يجد فى قصص حياة الشعوب ما يجعله يفهم لماذا هزم موطنه ألمانيا ، ولماذا انتصرت بريطانيا ، وكيف السبيل إلى نهوض ألمانيا من كَبْوتها ، وكيف تتمكن ألمانيا من التخلص من شروط معاهدة فرساى الفادحة ، المهينة ، المعوقة لتقدم ألمانيا ، المنغصة لمعيشة كل أبناء الشعب الألمانى !

ولقد أصبحت دراسة فروع الجغرافيا المتعددة ذات أهمية بالغة فيما يتعلق بسياسة العالم التى أضحت سياسة عالمية **Global Politics** . لم تعد القضايا السياسية محدودة الرقعة فى ركن من أركان العالم بل شهد العالم منذ مطلع القرن العشرين حرباً أطلق عليها المؤرخون صفة الحرب « العالمية » . وليست دراسة الجغرافيا قاصرة على دراسة سطح الأرض ، بل تدرس الجغرافيا كما لا يخفى كل مظاهر الحياة البشرية والنباتية والحيوانية . تعددت فروع الجغرافيا من دراسة الأفلاك إلى دراسة المناخ إلى دراسة النبات إلى دراسة الحيوان إلى دراسة المعادن وكل ما هو فوق سطح الأرض وكل ما هو ما تحت القشرة الأرضية قدر الإمكان ، وتطورت العلوم الجغرافية وتقدمت مباحث الجغرافيا ،

وأصبحت الحقائق الجغرافية من أهم مقومات فهم السياسة ومن أهم لزوميات ممارساتها .

وأصبحت الدراسات التاريخية أيضاً متعددة الفروع متزايدة الأهمية من حيث قيمة دراسة تجارب الشعوب على مدار أجيال سابقة ليستفيد الساسة من هذه التجارب دروساً مستفادة تخصبُ الأذهان عندما يكون من الضرورى صياغة سياسة جديدة . ومن المعروف أن الحاضر يرتكز على الماضى استشرافاً للمستقبل ولقد كان هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا فى السنوات القليلة الماضية من أساتذة التاريخ وكانت رسالته للدكتوراه فى سياسة ميترنيخ وفن إدارة الأزمات . مما يدل على الأهمية المتزايدة لدراسة تجارب التاريخ لرسم سياسة الحاضر .

ولا ريب أن بطل المأساة التى نعرض لها بالدراسة « **رودلف هيس** » قد تأثر شأنه شأن أى إنسان ألمانى بالروح « المثالية » التى كانت سائدة فى الفلسفة الألمانية الحديثة ، ولا ريب أن تعلقه بفكرة « الواجب » التى بلورها أبو الفلسفة الألمانية الحديثة « إيمانويل كانت » كان تَعُلقًا كبيراً قوياً ، ولا ريب أن رودلف هيس كان يحاول بكل طاقته الذهنية أن « يتمثل » الظروف الشاذة التى وجد فيها كل أبناء الشعب الألمانى أنفسهم : أرض ألمانية انتزعت من ألمانيا وأعطيت إلى دول مجاورة ، بل أنشئت دول مستحدثة على أجزاء من أراضٍ ألمانية ، وآلاف من أبناء ألمانيا ، يتكلمون اللغة الألمانية وجدوا أنفسهم بجرة قلم خطت بضعة سطور فى معاهدة فرساى ، ليجدوا أنفسهم وقد أصبحوا غير ألمان ، وتدهورت قيمة المارك الألمانى بصورة خطيرة للغاية إذ كانت قيمة الدولار الواحد تساوى ٤,٢ مارك فى عام بداية الحرب العالمية الأولى ، عام ١٩١٤ ، ووصلت قيمة الدولار الأمريكى فى يناير ١٩٢٠ إلى ٤١,٩٨ مارك ، وعلى أثر احتلال فرنسا لمنطقة الروهر الألمانية الغنية بالفحم والمواد التعدينية قفزت قيمة الدولار الأمريكى إلى ٤٩ « مارك ألمانى » .

حاول « **رودلف هيس** » ، شأن غيره من الألمان « تمثل » واستيعاب هذه الظروف الشاذة التى أثقلت كاهل كل مواطن ألمانى بعد الحرب العالمية الأولى ،

وحاول أن « يعمل إرادته » شأن غيره من الألمان لتغيير هذا الواقع الحياتى المعيشى الذى كانت تعيشه وتحياه ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى .

ألم يقل شوبنهاور للألمان إن العالم « تمثل وإرادة » ؟ إن مثل هذه المقولة الفلسفية المأثورة عن شوبنهاور تطن وترن فى وجدان كل الألمان تحت وطأة الحياة القاسية التى كان عليهم أن يواجهوها بعد الحرب العالمية الأولى . وصاغ فيخته وأذاع نداءه الشهير المطالب بنهوض الأمة الألمانية ، وتجاوبت ألمانيا كلها مع النداء .

وجعل الألمان يتطلعون إلى ظهور رجل ألمانى ، بطل ، زعيم ، قائد ، من بين الألمان ، وجعلوا يفتشون عنه فى كل مكان ، وخُيِّل للشعب الألمانى أنْ قَدْ وَجَدَ بطله وزعيمه وقائده فى شخص « أدولف هتلر » ، النازى ، الفوهرر .

صورة يظهر فيها هيس على أقصى اليمين أثناء تفقد قادة الرايخ مع أحد الضيوف لإحدى القواعد الجوية .

هنا يتضح الأثر الخطير للعلوم الإنسانية كالجغرافيا والتاريخ والفلسفة . ولئن كانت العلوم الطبيعية ترتقى بالمستوى الحضارى للإنسان فى جانبه المادى متمثلاً فى تطور الوسائل المادية المستخدمة فى المعيشة كما تتبدى فى أدوات البناء المعمارى وأدوات طهى الطعام وتنظيف المسكن وكافة وسائل المعيشة فى الحياة اليومية من ملابس وأحذية إلى آلات الصناعة المستخدمة فى المصانع إلى المنتجات الصناعية المختلفة التى تنساب جميعاً فى شرايين شبكات التوزيع التجارى فى مجالات التجارة الداخلية والخارجية بالإضافة إلى منتجات صناعة الأسلحة والذخائر العسكرية . ولا جدال فى أن العلوم الإنسانية كالتاريخ والجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والفلسفة لا تقل أهمية عن علوم الطبيعة إن لم تفقها أهمية من حيث ارتباط موضوعاتها بسياسة الدول وكيفية صنع القرار السياسى بهذه الدول .

وتصادف أن التقى « **رودلف هيس** » إبان التحاقه بجامعة ميونخ بأحد أساتذة هذه الجامعة إذ كان هيس طالباً ، وكان البروفيسور « كارل هوشوفير » أستاذاً محاضراً من ألمع أساتذة جامعة ميونخ وأبرعهم وأكثرهم تأثيراً على طلاب الجامعة لعمق ثقافته وتعدد فروعها .

وُلد « كارل هوشوفير Karl Haushofer » بمدينة ميونيخ يوم ٢٧ أغسطس ١٨٦٩ لأب كان يعمل أستاذاً بجامعة ميونيخ . وهكذا شب كارل هوشوفير فى بيت كان مقصد الطبقة المثقفة فى ميونيخ إذ كان يتردد على منزله لزيارة والده أشهر المفكرين الألمان من أهل المدينة ومن مدن ألمانية أخرى .

وانخرط « كارل هوشوفير » فى سلك الجندية بعد تخرجه من إحدى المدارس الحربية الألمانية ليصبح ضابطاً فى الجيش البافارى العريق . وبمرور الأيام أصبح كارل هوشوفير ملحقاً عسكرياً لألمانيا فى اليابان حيث تعلم اللغة اليابانية وأصبح واحداً من ألمع الخبراء فى شئون شرق آسيا ، ثم تقدم لنيل درجة الدكتوراه فى العلوم السياسية Ph.Dr – summa cum laude . وكان موضوع أطروحته هو : الجغرافيا السياسية للمحيط الهادى Political Geography in Racific Arla .

وعندما نعرف أن « هوشوفير » كان قد وصل إلى رتبة جنرال وتولى قيادة فيلق بالجيش الألمانى لدى انسحاب هذا الفيلق من إقليم الإلزاس ،وعندما نعرف أن البروفيسور « هوشوفر » كان حاصلاً على أعلى الدرجات العلمية فى الجغرافيا السياسية ، وعندما نعرف أن البروفيسور « هوشوفير » كان قد ولد عام ١٨٦٩ وأن « **رودلف هيس** » كان قد ولد عام ١٨٩٤ ، أى بفارق خمسة وعشرين عاماً ، عندما نعرف هذه الحقائق كلها ندرك مدى تأثير رجل مثل البروفيسور « هوشوفير » الذى كان ينتمى إلى جيل سابق على شاب مثل « **رودلف هيس** » الذى ينتمى إلى جيل تال .

كان تأثير البروفيسور كارل هوشوفير على الشاب « **رودلف هيس** » تأثيراً جد كبير وجد خطير . لم تكن العلاقة بينهما مجرد علاقة طالب جامعى بأستاذ جامعى . كان « **رودلف هيس** » مبهوراً بغزارة معلومات أستاذه أشد الانبهار .

ولم يكتف « **رودلف هيس** » بأن يتبع ويلازم البطل الزعيم الفوهرر « أدولف هتلر » كظله بعد أن ضمهما الحزب النازى فى صفوفه فحسب ، بل إن هيس كان حلقة اتصال جيدة بين البروفيسور « كارل هوشوفير » وبين الفوهرر ، وكان هوشوفير قد تعود تقديم نصائحه السياسية للساسة والقادة الألمان من قبل ظهور هتلر ، وعمل تلميذه وصديقه هيس على إجراء مقابلات بين هوشوفير وهتلر ، وعمل على نقل أفكار وآراء البروفيسور إلى الفوهرر .

ولقد كان لآراء هوشوفير وتوجيهاته تأثير كبير فى قيام رودلف هيس برحلته المشئومة من ألمانيا إلى بريطانيا لعقد صلح بينهما فى غضون الحرب العالمية الثانية ، وهى المأساة التى نعرض لها بالدراسة التفصيلية فيما يلى من صفحات تظهر كذب نبوءات البروفيسور هوشوفير كما تثبت إفلاس حضارة الغرب سواء بسواء .

# ادولف هتلر ، الزعيم الفوهرر

**هتلر يستعرض قواته على الجبهة الشرقية (١٩٣٩)**

كان « **رودلف هيس** » شأنه فى ذلك الحين هو شأن جميع الألمان ؛ دائب البحث عن بطل يصلح لقيادة الشعب الألمانى ، ذى قدرات عالية ، زعيم ، فوهرر ، ينقذ الشعب الألمانى من مهانة وأضرار الهزيمة فى الحرب العالمية الأولى .

ولم تكن الزعامات الموجودة فى ألمانيا آنذاك مُرْضية مُقْنِعةً لأحدٍ ، ولم يستطع قادة الأحزاب السياسية المتناحرة عمل شىء يبث الرجاء أو يوحى بالثقة بأن ليل الظلم الطويل الثقيل سينجلى عن سماء ألمانيا ، وأن قيود معاهدة فرساى

ستنكسر عن كواهل الألمان . كان الحزب الشيوعى يزداد أنصاراً ويزداد شغباً ، ولم يحقق لألمانيا سوى الشغب . ويكفى تحول روسيا ــ وهى عدوة ألمانيا على حدودها الشرقية ــ نحو الشيوعية ، لينفر الألمان من الحزب الشيوعى الألمانى .

لقد تم تخفيض عدد أفراد القوات المسلحة الألمانية مع تحديد تسليحها ، ومَنعَتْ شروط معاهدة « فرساى » وجود قوات جوية ألمانية منعاً باتاً ، كما حرمت تلك المعاهدة على ألمانيا بناء سفن حربية أو طائرات مقاتلة . وبُترتْ أراض ألمانية من جسم ألمانيا وضُمت إلى دول أخرى . وأنشئت دول مستحدثة مثل تشيكوسلوفاكيا فوق أراض ألمانية .

وأثقلت تعويضات الحرب كاهل الألمان ، وعجزوا بعد دَفْع المليار الأول من الماركات « الذهبية » عن دفع المزيد . وأعلن الألمان عجزهم عن الدفع ، وشكلت لجان دولية لإعادة النظر فى التعويضات وجدولتها .

وصاغ « **رودلف هيس** » فى ذهنه بعد تسريحه من الخدمة بسلاح الطيران أسئلة محددة راح يطرحها على كل من يأنس فيه القدرة على الإجابة .

هل يمكن ظهور قائد زعيم ألمانى يستطيع النهوض بألمانيا ؟

والسؤال الأهم فى نظر هيس كان مصاغاً كما يلى : كيف يمكن له ولكل أبناء ألمانيا التعرف على هذا القائد الزعيم الألمانى ؟

وأفضى هذا السؤال إلى سؤال آخر أكثر وضوحاً وتحديداً هو : ما هى مواصفات هذا القائد الزعيم الألمانى حتى يمكن التعرف عليه ؟

وكان هيس يطرح سؤاله الأخير ، وهو السؤال الأكثر وضوحاً وتحديداً على كل من يأنس فيه القدرة على الإجابة .

وذات يوم قابل هيس الصحفى الألمانى « ديتريتش إيكارت Dietrich Eckart » وألقى عليه نفس السؤال . وكان جواب الصحفى كالآتى :

« إننا ــ معشر الألمان ــ بحاجة إلى حزب ألمانى جديد . ومن الضرورى أن يكون زعيم هذا الحزب الألمانى الجديد بطلاً مغواراً تعوَّدَ سماع هدير المدافع

وبنادق الحرب السريعة الطلقات . من الضرورى تخويف العالم ! ومن غير المرغوب ــ مع ذلك ــ أن يكون زعيم هذا الحزب الجديد واحداً من ضباط الجيش الحاليين أو السابقين لأن لضباط الجيش الألمانى قوالب فكرية جامدة ، ومن الضرورى أن تتوافر فى زعيم الحزب المنشود صفة المرونة الفكرية ! ولقد فَقَدَ الألمانُ ثقتهم تماماً فى ضباط الجيش الألمانى . إن الزعيم المثالى المنتظر المرجُوَّ الذى تبحث عنه يارودلف من الضرورى أن يكون واحداً من العمال الكادحين ، يعرف كيف يتكلم ويتخاطب ويخاطب العمال الكادحين ، ويستطيع النفاذ إلى قلوبهم وعقولهم ، لكى يوصل إليهم رسالة إنقاذ ألمانيا . ومن الضرورى أن تستبعد من تقديرك يارودلف بوجه خاص أن يكون الزعيم المثالى المنتظر واحداً من أساتذة الجامعة يرتجف رعباً عندما يقذف الدهماء والمشاغبون الكراسى فى الهواء عند عقد أى اجتماع سياسى عمومى ! إن زعيم الألمان المرجو المنتظر ينبغى أن يكون قائداً مطبوعاً على القيادة ، تجرى القيادة فى دمه بطريقة فطرية طبيعية لا تكلُّف فيها ؛ ولكن قائد الألمان ، الفوهرر Fuhrer قادم ، قادم دون ريب يارودلف ! » .

حزب ألمانى جديد كما قال الصحفى إيكارت ! نعم . فالأحزاب الموجودة فى ألمانيا الآن فاسدة عاجزة .. لابد إذن من قيام حزب سياسى ألمانى جديد . الحزب السياسى هو المصدر الرئيسى لتخريج القادة والزعماء .

إيه إيه ياألمانيا ! ها هو ذا حزب جديد فى ميونيخ . إنه حزب يطلق على نفسه اسم حزب « العمال الألمان GermanWorkers' Party » ألم يقل الصحفى إيكارت إن الزعيم الألمانى المنتظر يلزم أن يكون واحداً من العمال الكادحين ؟

وتقدم هيس إلى مقر حزب العمال الألمان طالباً الانضمام إلى صفوف الحزب ، ورحب أعضاء الحزب بانضمام هيس إلى صفوف الحزب حيث كان الحزب مشكلاً من المحاربين الألمان القدامى الذين تم تسريحهم من الجيش بعد الحرب العالمية الأولى وشرعوا فى البحث لأنفسهم عن حرف أو أعمال لملء الفراغ او لكسب العيش ، وكان من أبرز شخصيات الحزب انذاك « إرنست روهم Ernest Rohm » الذى كان واحداً من ضباط الجيش الألمانى الساخطين على

هزيمة ألمانيا وعلى شروط معاهدة فرساى الظالمة . وكان يشرف على شئون الدعاية والإعلام بالحزب « أدولف هتلر Adolf Hitler » ، ولم يكن عدد أعضاء الحزب عندما انضم إليه « هيس » سوى ١٥ عضواً ، ولذلك حمل هيس رقم ١٦ ، بينما كان رقم هتلر هو الرقم ٧ .

وذات يوم تم عقد اجتماع لحزب « العمال الألمان » حضره « **رودلف هيس** » لأول مرة . وتناوب أعضاء الحزب الكلام بشأن موضوعات جدول أعمال اجتماع الحزب . وأعطيت الكلمة للعضو رقم ٧ ، « أدولف هتلر » . وفغر « **رودلف هيس** » فاه !

وهتف « **رودلف هيس** » من أعماق قلبه : هذا هو الزعيم ، الفوهرر ، قائد الألمان ! إن جميع شروط ومواصفات الصحفى « إيكارت » تنطبق عليه تمام الانطباق . « إنه موجود .. إنه رجل غير عادى ... إنه يتمتع بمواهب فذة ... وأفكار متميزة » كما وصفه له أستاذه « هوشوفير » تماماً . إنه من العمال الكادحين .. إنه يعرف كيف يتكلم ويخاطب العمال وينفذ إلى وجدانهم وعقولهم .. ولقد ألف دوى قذائف المدافع وأزيز الرصاص دون أن يكون واحداً من الضباط إذ لم تتجاوز رتبته أثناء الحرب العالمية الأولى رتبة الرقيب أو الجاويش من رتب صف الضباط .. إنه ليس أستاذاً جامعياً يخاف من كرسى طائر فى الهواء كما قال صديقه إيكارت .. إنه العضو رقم ٧ بحزب العمال الألمانى الذى أنشىء حديثاً كحزب جديد لم يزد عدد أعضائه عن ١٦ عضواً بانضمام هيس إلى عضويته ... إنه « أدولف هتلر » ! ولكن ظهور القائد الزعيم شىء ، وممارسة القائد الزعيم للقيادة وللزعامة فى أمته شىء آخر . لم يظهر فى دنيا البشر قائد أو زعيم قاد وتزعم أمته وفقاً للمعايير الدنيوية وحدها ، ودون مدد من تعاليم الله وشريعته إلا وقد امتزج الصواب فى ممارساته بالخطأ ، وهكذا كان الشأن بالنسبة « لأدولف هتلر » القائد الزعيم النازى الألمانى ، قاد الشعب الألمانى وتزعمه بطريقة دكتاتورية نازية فاشستية إذ جمع كل السلطات فى يديه ثم قاد وتَزَعَّمَ الشعب الألمانى إلى هزائم ساحقة ماحقة دَمَّرتْ وأهدرت كل إنجازاته السابقة وانتصاراته السابق تدميراً تاماً وإهداراً شاملاً .

وُلد « أدولف هتلر Adolf Hitler » الدكتاتور النازى يوم ٢٠ إبريل عام ١٨٨٩ فى بلدة « براوناو- آم-إن Braunau – Am – Inn » فى بلدة صغيرة بالنمسا Austria وكانت هذه البلدة فى بعض الأحيان ومن جراء تقلبات السياسة الأوروبية يجد أهلها أنفسهم ضمن رعايا دولة هنغاريا Hungary .

وقد كان زواج والد هتلر من أمه زواجاً غير شرعى وغير موثق ولذلك كان آدولف يحمل بموجب القانون الألمانى لقب عائلة أمه ، عائلة « شيكلجروبر Schicklgruber » أى أن اسمه كان فى مستهل حياته هو « أدولف شيكلجروبر Adolf Schicklgruber وهو اسم عائلة يهودية معروفة لدى الألمان . وعلى الرغم من نجاح أدولف فى استرداد اسم أبيه بالطرق القانونية ليصبح اسمه فى أوراق الحكومة الألمانية الرسمية هو « أدولف هتلر Adolf Htler » إلا أن خصومه السياسيين الذى كانوا يزدادون عدداً بمرور الأيام كانوا يصرون على الإشارة إلى الزعيم السياسى الألمانى الجديد باعتبار أنه « أدولف شيكلجروبر » ، وليس « أدولف هتلر » لتأكيد عدم نقائه هو نفسه من الدم اليهودى .

كان والد « أدولف هتلر » (ونكتفى بذكر لقبه الذى اشتهر به فيما يلى) موظفاً بالجمارك النمساوية ، وكان يعمل بمدينة « لينز Linz » بجنوب النمسا ، وانضم هتلر فى صباه إلى كنف أبيه للعيش بهذه المدينة .

وبعد تقاعد والد هتلر ، ألواز Alois ، افتتح لنفسه فندقاً صغيراً ليعمل به ، ولدى وفاته كان قد ترك لزوجته وأولاده مبلغاً لا بأس به من المال مما مكن أدولف من أن يواصل تعليمه حتى يلتحق بمدرسة ثانوية . وعلى الرغم من تعثر هتلر فى دراسته بالمدرسة الثانوية إلا أنه ظل مقيداً بهذه المدرسة حتى بلغ السادسة عشرة من عمره (حتى عام ١٩٠٥) إذ لم يستطع هتلر الحصول على شهادة إتمام الدراسة الثانوية كما كانت أمه ترجو وتأمل .

وظل هتلر يتسكع عامين بشوارع مدينة لينز بعد فصله من المدرسة الثانوية ثم تسلطت على مشاعره فكرة أن يصبح رساماً محترفاً لمهنة الرسم ليتقاضى من الناس ثمناً لرسومات يبيعها لهم ، ليكتسب عيشة بهذه الوسيلة فيما توهم . وعندما لم تف هذه الحرف بنفقات معيشته بعد موت أمه ، رحل هتلر إلى فيينا عاصمة النمسا آنذاك على أمل أن يجد نجاحاً فى بيع لوحاته . ولقد حاول

هتلر أن يلتحق بكلية الفنون الجميلة فى ڤيينا ، وفشل مرتين فى اجتياز اختبار القبول اللازم للالتحاق بها . وظل هتلر يتسكع فى شوارع ڤيينا وينتقل من حانة إلى أخرى ومن فندق إلى آخر بضعة أعوام متكسباً عيشه من رسم مناظر للبطاقات ومن العمل فى كافة مجالات الإعلان بمدينة ڤيينا .

فى عام ١٩١٣ رحل هتلر إلى بلدة ميونيخ . وفى فبراير عام ١٩١٤ استدعى لتوقيع الكشف الطبى عليه تمهيداً لتجنيده بالجيش ، ورفض الجيش تجنيده لعدم لياقته الطبية .

وعند قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، تطوع هتلر للخدمة بالجيش ، وتم قبول طلبه ، إذ لا تدقيق فى قبول المتطوعين فى الجيش لأداء مهام مساعدة للجيش . وبالفعل ألحق هتلر بالخدمات الطبية لكتيبة المشاة السادسة عشرة الباڤارية ، وجرح أثناء عمله بنقل الجرحى فى أكتوبر عام ١٩١٦ ، وتعرض للإصابة بالاختناق بالغاز عام ١٩١٨ ، وكان مهدداً بالإصابة بالعمى من جراء هذه الإصابة بالغازات لولا أن تم علاجه بإحدى مستشفيات الجيش الألمانى .

أظهر هتلر شجاعة وحماساً فى أداء مهامه بالخدمات الطبية ، ورقى إلى رتبة العريف ، ومنح وسام الصليب الحديدى من الدرجة الثانية فى ديسمبر ١٩١٤ ، ثم منح وسام الصليب الحديدى من الدرجة الأولى مع ترقيته إلى درجة الرقيب (جاويش) فى أغسطس عام ١٩١٨ قرب نهاية معارك الحرب العالمية الأولى ، التى انتهت معاركها بهزيمة ألمانيا واستسلامها بينما كان هتلر يعالج من آثار الغازات على عينيه بالمستشفى العسكرى ، وعندما تماثلت عيناه للشفاء تم تسريح الرقيب أدولف ألواز هتلر من القوات المسلحة الألمانية ، فقرر أن يعمل بالسياسة ، وكان للوسامين اللذين يحملهما هتلر تأثير كبير فى حصوله على وظيفة « مراقب للنشاط السياسى بمدينة ميونيخ » مما جعل هتلر وثيق الاتصال بالأحزاب السياسية الألمانية الساخطة على ممارسات واتجاهات الحكومة المركزية فى برلين المنصاعة تماماً لتنفيذ شروط الحلفاء المجحفة بالألمان دون بذل أى جهد لتخفيفها أو للتحايل عليها .

# هتلر الخطيب البارع .. والمحدث المؤثر ..

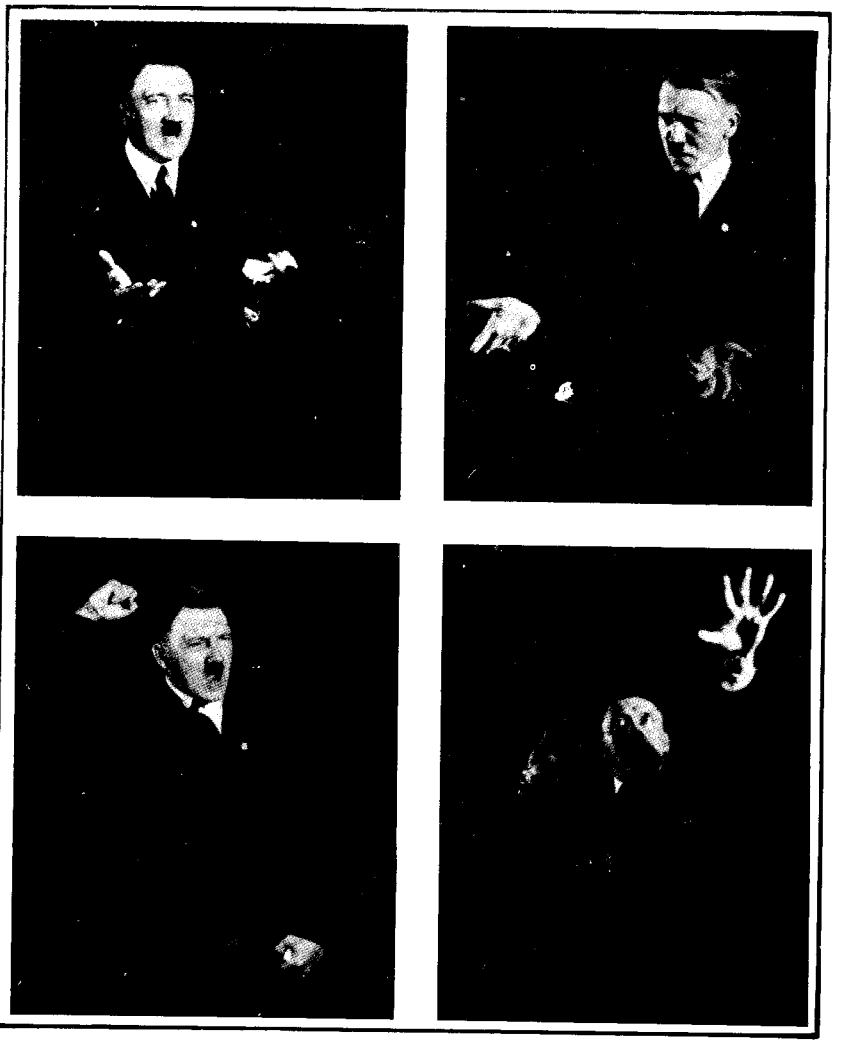

الخطيب البارع والزعيم المفوه للرايخ الألمانى الفوهرر هتلر .

ولم تعجب برامج الأحزاب الشيوعية هتلر ، فانضم إلى أحدث وأصغر حزب فى ميونيخ وهو حزب العمال الألمانى وحصل على رقم ''٧'' فى عضوية

هذا الحزب ، وأسند إليه زملاؤه فى الحزب القيام بنشاط ''الدعاية'' للحزب ، وهى المهمة التى قام بها هتلر خير قيام إذ أعاد صياغة برنامج الحزب لتتضمن شعارات صاغها هتلر باقتدار من صميم معاناة الشعب الألمانى ، واكتشف هتلر كما اكتشف زملاؤه وغالبية الشعب الألمانى أن لديه قدرة فائقة على الخطابة الحماسية التى تخلب ألباب المستمعين وتبهرهم ، كما انبهر بطل المأساة التى نعرض لها بالدراسة ، « **رودلف هيس** » ، العضو السادس عشر من أعضاء حزب العمال الألمانى ، لدى سماعه كلام هتلر فى أول اجتماع يحضره هيس ، وأيقن « **رودلف هيس** »أنه قد وجد الزعيم الفوهرر الذى يقود الشعب الألمانى للتخلص من آثار هزيمة الحرب العالمية الأولى ، ويلتصق بطل المأساة التى نعرض لها بالدراسة بالزعيم الفوهرر التصاق اليد بالكتف .

وليس لنا ـــ ونحن نحرص كل الحرص على الإيجاز ـــ لو أردنا تصوير الجو السياسى فى ألمانيا وعلاقة السياسة بالجندية بالزعامة أو قل علاقة البروفيسور جنرال‌هوشوفير بكل من « رودلف هيس » و « أدولف هتلر » ، ليس لنا مع بالغ حرصنا على الإيجاز سوى أن نقتبس سطوراً من كتاب : « **رودلف هيس** » ـ النازى الأخير لمؤلفه : « ڤولف شوارزڤالر » حيث يقول :

« ذات مساء كان « **رودلف هيس** » يتمشى فى معية أستاذه البروفيسور « كارل هوشوفر » بأحد شوارع‌ميونيخ‌القديمة ، عندما توقف هيس أمام مبنى كان يحمل رقم (٥٤) ، وكانت توجد على واجهة هذا المبنى لافتة كتب عليها بالألمانية Deutsche Arbeiter Partei(Dap) ، ومعناها كما لا يخفى هو : ''حزب العمال الألمانى'' ، وكان بجوار اللافتة إعلان عن محاضرة ومناقشة فى ذلك المساء .

وقال « **رودلف هيس** » ، الطالب بجامعة ميونيخ للدكتور « كارل هوشوفير » الجنرال السابق بالجيش الألمانى ، وأستاذ الجغرافيا السياسية بجامعة ميونيخ آنذاك .

''إن صديقى الصحفى « ديتريش إيكارت » قد أخبرنى أن المحاضرات التى تناقش بين أعضاء هذا الحزب محاضرات رائعة مثيرة'' .

وقطب البروفيسور « هوشوفير » جبينه لدى سماع هذا الإطراء المغرى بالدخول وهو يقول :

''إن هذا الحزب لا يعدو أن يكون واحداً من تلك التجمعات الساذجة السطحية التفكير النمطية الأساليب . أما وقد انتهت الحرب الساخنة مع أعدائنا ، توقفت الحرب الأهلية فيما بين الأحزاب الألمانية التى سحب المستشار هندنبرج مقاومتها المسلحة ، فمن الضرورى يارودلف أن تناقش جميع الشئون السياسية لوطننا الحبيب فى نطاق البرلمان الألمانى « اللاندتاج Landtag » حيث « يجب » أن يكون تداول ومناقشة المسائل السياسية التى تهم الألمان . هذه هى ''الممارسة السياسية البناءة يارودلف Constructive Politics'' إن أى شخص فى مثل هذه الحانة يشرب البيرة والقهوة يجعل أيام حكم السوفيت للشعب الألمانى تقترب بخطى أسرع'' .

قال هيس مجدداً الدعوة لأستاذه « هوشوفير » ليوافقه على الدخول :
ـــ « إن الجنرال ڤون إيب Von Epp » يمتدح هو الآخر « حزب العمال الألمان » هذا . إن رئيس أركانه سابقاً النقيب « روهم » قد أصبح عضواً مهماً وبصفة رسمية فى هذا الحزب الجديد » .

واستسلم الجنرال السابق والبروفيسور الحالى لرغبة تلميذه وصديقه الشاب « **رودلف هيس** »، ودخلا إلى مقر حزب العمال الألمان ، وهو يقول : « وهو كذلك ياصديقى هيس .. فلنلق نظرة على هؤلاء الناس ! » .

ودخلا حجرة مملوءة بدخان التبغ يحتشد فيها حوالى عشرين أو خمسة وعشرين شخصاً من الرجال والنساء الذين كانوا يجلسون على مقاعد حول منضدة كبيرة قديمة . وجلس كل ثلاثة أفراد على كرسيين متجاورين ليفسحا مكاناً للقادمين الجدد . ونهض شخص فى منتصف العمر ليقف أمام المنضدة الخشبية وهو يقول بصوت يشوبه شىء من الارتباك : « سيداتى .. سادتى .. أنا اسمى « أنطون دريكسلر Anton Drexler وأعمل محولجياً بالسكة الحديد ، وبصفتى رئيس حزب العمال الألمان أرحب بكم جميعاً فى لقاء اليوم وكل يوم . والآن أرجو أن أكون قد مهدت الأرض تماماً كى يتحدث إليكم متحدثنا الليلة ، عضو حزبنا ، ومسئول الدعاية بحزبنا السيد : ... هتلر » !

ونهض رجل يرتدى بذلة رمادية اللون . كان شعره طويلاً مُرجَّلاً بعناية إلى الوراء مفروقاً من المنتصف ، وكان له شارب أنيق تم تهذيبه فى خطوط مستقيمة بلا نشوز شعرة واحدة عن الخطوط المرسومة للشارب الأنيق . وتحامل بحدثنا على طرف المنضدة الخشبية أمامه لتعينه على الوقوف وظل متكئاً بيديه عليها . ثم .. وبصوت معدنى صاف رائع عميق قال :

''يا رفاق الأعزاء ... إن أسَىً عميقاً ومرارة بالغة قد أمْسَكا بتلابيب شعبنا الألمانى ...'' .

وبصوت هادىء مُتَّزِنٍ يسيطر المتحدث على كل نبرة من نبراته كما يروق له ليحلو إلى أقصى درجات الحلاوة فى آذان ووجدان الحاضرين وليتسلل إلى قلوبهم وعقولهم استعرض هتلر آحداث عام ونصف عام فى اعقاب الحرب العالمية الأولى المشئومة بالنسبة إلى الألمان .

وندد بشروط معاهدة فرساى الظالمة التى تفوق قدرة الألمان على الاحتمال بالغاً ما بلغ مَيْلُ المستسلمين الألمان للقبول بالاستسلام . ها هم أولاء ''خونة نوفمبر'' المستسلمون الألمان قد استسلموا لشروط المعتدين الأجانب ، وها هم أولاء لا يستطيعون الوفاء بما قبلوا به من شروط تفوق احتمال البشر . وبرهن بلباقة معجزة عن زيف سياسة التهدئة التى تمارسها حكومة برلين ، وندد بالماركسية الشيوعية ''المادية'' التى ينفر منها الألمانى الذى تجرى « المثالية » والقيم والشعور بالواجب فى دمه ، وما قيمة الدم الموجود بالشرايين إن لم يكن الإنسان ينبض بالحياة ، ويتمتع بالقدرة على التفكير ، ويستطيع الاختيار والتدبير ؟! وهل تهدف الشيوعية الماركسية ''المادية'' إلى شىء أكثر من تمهيد الأرض الألمانية للبلاشفة الشيوعيين الروس أعداء الألمان الدائمين من جهة الشرق عجزوا عن غَزْوِ ألمانيا بجنودهم وسلاحهم ، وها هم أولاء الروس البلاشفة الشيوعيون الماركسيون اللينينيون يريدون غَزْوَ ألمانيا واحتلال أراضيها عن طريق غَزْوٍ واحتلال عقول الألمان ، فياللعار ويالليشنار لو نجح الأعداء الروس فى غزو واحتلال ألمانيا عن طريق عقول البشر فوق الأرض ، بعد أن عجزوا طوال عصور التاريخ السابقة عن إلحاق هزيمة عسكرية بالألمان فوق سطح الأرض ! » . ثم غدا صوته شديد العدوانية عندما بدأ يتحدث عن حزب

''برغر الكاثوليكى Catholic Burgher Party'' فقال هتلر بالحرف الواحد : ''إننا نحن الجنود الذين حاربنا أعداء ألمانيا فى جبهة القتال الفعلى وفى فردان لم نتوقف لحظة فى أى وقت لنسأل رفاقنا الجرحى المصابين فى الحرب ، لم نتوقف لحظة لنسأل زملاءنا الجرحى : هل أنت أيها الزميل المصاب بافارى Bavarian أم بروسى ؟ Prusian ولم نسأله : هل أنت كاثوليكى[1] أم بروتستانتى ؟ Catholic or Protestant ، لقد مارسنا آنذاك الاشتراكية الصحيحة السليمة ، اشتراكية نابعة من المشاركة المعيشية داخل ذات الخنادق التى كنا نحتمى فيها من نيران الأعداء » ..

ثم أطبق أصابع يده ، ورفعها عالياً فى الفضاء ، وارتفعت نبرات صوته عالياً حتى بلغت عنان السماء وهو يقول : ''صدقونى أيها الزملاء ... إن روح الجندى الذى يقاتل فى جبهة الحرب هى الروح التى نحتاجها الآن ، فى هذا الوقت الذى يعتزم فيه شعبنا الألمانى الانطلاق نحو النهوض ! إن روحاً كهذه سوف تعمل عملها لخلق مستقبل سعيد جديد للمهزومين الذين خدعهم اليهود من خلال مؤامراتهم العالمية . إن شعبنا لم يهزم إلا بسبب المؤمرات العالمية لليهود ...'' .

كان هيس يستمع على مدى ساعتين لخطبة هتلر وهو متقطع الأنفاس ، ينظر من آن لآخر نحو أستاذه البروفيسور الجنرال السابق « كارل هوشوفير » فيطمئن إلى حُسْن وَقْع الكلام على أستاذه . كانت كل كلمة قالها هتلر تدخل أُذُنى وقلْب وعقل هيس وكان كل كلام خطبة هتلر يبدو منطقياً ، واضحاً ، خلوا من التناقض . ومنذ تلك الليلة ، ربطت عبقرية هتلر فى الخطابة بين ثلاثة رجال : « هيس وهوشوفير وهتلر » .

---

(١) كان الشعب الألمانى قد اكتوى بنيران حرب أهلية دامت ثلاثين عاماً بين الكاثوليك والبروتستانت قبل الحرب العالمية الأولى مباشرة وتدخلت فيها دول أجنبية ، ولا يريد هتلر عودة انقسام الألمان لهذا السبب .

# هيس يفدى الزعيم ..

وثمة لقطة أخرى تطلعنا على مدى الارتباط الوثيق بين هذا الثلاثى « هيس هوشوفير وهتلر » ، وإن كانت هذه اللقطة قاصرة على « هتلر وهيس » ، ولكن هيس كان دون ريب حلقة اتصال جيدة التوصيل بين البروفيسور « هوشوفير » وبين الزعيم .

فى ٢٤ نوفمبر عام ١٩٢١ ، نشب جدل عنيف بين أنصار « أنطون دريكسلر » مؤسس الحزب وبين أنصار هتلر الزعيم المتصاعد النفوذ بالحزب ، وكان الاجتماع منعقداً فى إحدى المقاهى . وتحولت المناقشة بين الفريقين إلى معركة بالأيدى .. وفى لحظة لمح « هيس » زجاجة بيرة مكسورة فى طريقها إلى رأس هتلر ، فتحرك ليكون بكامل جسمه أمام رأس الفوهرر ، وأصابت الزجاجة المكسورة جبهة هيس بدلاً من أن تصيب جبهة الفوهرر . وسال الدم من رأس هيس ليتساقط بغزارة على ملابس هتلر ، وتم نقل هيس إلى المستشفى بعد فض الاجتماع الحزبى ، وترك الجرح فى رأس هيس « ندبة » ظلت ملازمة له طيلة حياته تذكرة دائماً وتذكّر الفوهرر أن هيس على استعداد فعلىّ دائم أن يفدى زعيمه بروحه وأن يضحى فى سبيل حياته بنفسه . ولم يفترق بعدها هيس عن الفوهرر حتى تمت المأساة التى نعرض لها بالدراسة فصولاً ، فوقع هيس فى أسر الإنجليز إذ ارتحل إليهم بنفسه ، وانتحر هتلر عندما أطبقت جيوش الحلفاء على مقر نهايته لتضع الحرب العالمية الثانية أوزارها .

# هيس فى الحزب النازى ..

عمل هيس نائباً لهتلر ، وأخذ على عاتقه تنقيح برنامج الحزب وأعمال الدعاية له بين الألمان ، وتضاعف أعضاء الحزب النازى الذى انفصل عن حزب العمال الألمانى ، وشعرت الحكومة فى برلين بخطورة هذا الحزب الجديد الذى يمتلك دعاية قوية ، وينظم قوات للعاصفة تحت قيادة هيس لفرض احترام زعيم الحزب الفوهرر هتلر على الجماهير ، ولتوفير الحماية له بين الجماهير المتضاربة الأهواء والميول السياسية .. وقد نجحت قوات العاصفة تحت قيادة « هيس » من إلقاء عدد كبير من خصوم هتلر من نوافذ إحدى الصالات التى كانت مُعدَّةً لواحد من من اجتماعات الحزب .. قوة بدنية غاشمة ، وستظل هذه القوة البشرية الغاشمة سمة من سمات النازية إلى أن تفضى بألمانيا النازية الهتلرية إلى أتون الحرب العالمية الثانية .

صورة تجمع بين كل من هيس وهتلر وكريبل ودكتور فريدريك وبير .

تمتع الحزب النازى بزعيم مفوّه هو « أدولف هتلر » ، كما تميز بساعد قوى فى قوات العاصفة .S.S تحت قيادة « **رودلف هيس** » مما كفل للحزب نجاحاً جماهيرياً منقطع النظير لَفَتَ الأنظارَ فى العاصمة برلين فَصَدَرَتْ الأوامرُ بإلقاء القبض على « هتلر وهيس » باعتبار أنهما مسئولان عن قيادة حزب ذى تنظيم عسكرى مسلح ، ولئن كانت القوانين المعمول بها فى ألمانيا تتيح قيام أحزاب سياسية ، إلا أن وجود تنظيمات مسلحة ضمن كوادر الحزب تحْظُره أكثر النظم السياسية ديموقراطية فى جميع أنحاء العالم . وعندما انفضحت التنظيمات العسكرية فى صفوف الحزب النازى أصدرت الحكومة فى برلين أوامرها بضرورة القبض على « أدولف هتلر ورودلف هيس » ، وتم القبض عليهما فى عام ١٩٢٣ ، وقُدِّما إلى المحاكمة ، وصدر ضدهما حكم بالسجن فى قلعة ''لاندسبرج'' ، ولكن قائد السجن ومحافظ ميونيخ ووزير العدل جريتز كانوا يميلون إلى مبادىء الحزب النازى ، فجعلوا السجن بالنسبة إلى « هتلر وهيس » بمثابة فندق مريح ، وسُمح لهما بمقابلة الزوار ، وفى مقدمتهم الجنرال البروفيسور « كارل هوشوفير » الذى كان هتلر يصفه آنذاك بأنه قريبه الوحيد ، وأثناء الزيارة كان الأصدقاء الثلاثة يتبادلون الرأى ويناقشون شئون الحزب . وَزَوَّدَتْ إدارة السجن هتلر بآلة كاتبة سجل عليها هيس أصول كتاب ''كفاحى'' الذى نسب إلى هتلر على الرغم من اشتراك « هوشوفير وهيس » معه فى معظم أفكار هذا الكتاب الذى تمت طباعة ملايين النسخ منه ، بعدئذ وأصبح بمثابة الدستور المكتوب لألمانيا النازية .

# هتلر ... مستشاراً لألمانيا

وليس لنا نزولاً على مقتضيات الإيجاز أن نتتبع مناورات هتلر السياسية حتى وصل إلى دار المستشارية الألمانية ، ولا يخفى أن منصب المستشار الألمانى يعادل منصب رئيس الوزراء فى الدول الأخرى . ومن حسن حظ هتلر أن الرئيس الألمانى « الجنرال هندبرج » الذى كان من ألمع قادة الحرب العالمية الأولى كان قد تقدمت به السن إلى حد كبير ، ولم يلبث أن توفى فاستولى هتلر على منصب رئيس الرايخ الألمانى ومنصب مستشار ألمانيا معاً ، ولم يبق ما يزعج هتلر سوى البرلمان الألمانى « الرايشتاج » ولكن هتلر انتزع من أعضاء البرلمان تصريحاً يفوض له السلطة فى إصدار قرارات لها قوة القانون دون الرجوع إلى الرايشتاج وكان ذلك يوم ٢٣ مارس ١٩٣٣ ، إذا وافق البرلمان الألمانى على ذلك بأغلبية ساحقة بلغت ٤٤١ صوتاً ضد ٨٤ صوتاً معارضاً ، وجعل هذا القانون السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية كلتيهما فى قبضة يد هتلر . بل تضمن هذا التفويض أن لهتلر حق الخروج على الدستور إذا اقتضت الضرورة ذلك ، كما أصبح لهتلر حق التوقيع على المعاهدات بين ألمانيا والدول الأخرى دون الرجوع إلى الرايشتاج الألمانى .

وأجريت انتخابات لرايشتاج جديد فى ١٢ نوفمبر ١٩٣٣ لم يتقدم لها سوى أعضاء من الحزب النازى الذى حصل على ٩٢٪ من الأصوات ، وأيد الناخبون فى ذات الوقت موافقة الشعب الألمانى على رفض معاهدة فرساى وعدم الخضوع لشروطها كما أملى ذلك هتلر محدثاً صدمة عالمية فظيعة الدوى ، صاخبة الأصداء .

وهكذا وصل الفوهرر النازى إلى الحكم ، وانفرد بالسلطة ومزق معاهدة فرساى ، ومضى بخطوات واسعة يبنى القوات المسلحة الألمانية ويهاجم فى

خطبه الحماسية الدول التى فرضت على ألمانيا نزع السلاح ويقول: ''ها هى ذى ألمانيا منزوعة السلاح ! ماذا فعلت الدول التى فرضت على ألمانيا نزع السلاح ؟ وماذا تفعل فى سبيل التوسع فى إنتاج السلاح ؟ وماذا ستفعل هذه الدول بترسانات السلاح المتضخمة لديها ؟'' .

وطالب هتلر هذه الدول بأحد أمرين : أولهما أن تتوقف هذه الدول نفسها عن إنتاج المزيد من السلاح ، وثانيهما أن تسمح لألمانيا بإنتاج المزيد من السلاح إذ ليس من العدل أن تزداد الدول تسليحاً ويفرض على الألمان وحدهم حظر السلاح ! كلام لم يخل من منطق ومن وجاهة فى مسامع الألمان ، ولم يخل من خُطُورَةٍ فى مسامع غير الألمان ، وأصبح الحال فى أوروبا غير الحال ، وأصبحت الموازين غير الموازين !

# الانسحاب من عصبة الأمم .. واسترداد السار ..

فى ١٤ أكتوبر ١٩٣٣ أعلن هتلر انسحاب ألمانيا من عصبة الأمم وعدم تقيدها بنزع السلاح . وكشف هتلر الدعاية الألمانية فى استفتاء أجرى بإقليم السار الغنى بالفحم فأعلن غالبية السكان انضمامهم إلى ألمانيا ، وعادت أرضاً ألمانية ـ وكانت قد انتزعت منها بموجب معاهدة فرساى ـ إلى ألمانيا الوطن الأم فى حفاوة ألمانية صاخبة .

وفى يوم ٩ مارس ١٩٣٥ أعلن هتلر فى احتفال صاخب دعا إليه سفراء وممثلى الدول الأجنبية أن ألمانيا قد أنشأت بالفعل السلاح الجوى الألمانى ، ولا عبرة بحظر معاهدة فرساى لإنشاء سلاح جوى ألمانى .

ولما سكتت بريطانيا وسكتت فرنسا إزاء هذا التحدى الهتلرى أعلن هتلر قانون التجنيد الإجبارى فى ألمانيا الذى كان يعد أهم محاذير معاهدة فرساى ، وكان ذلك يوم ١٦ مارس ١٩٣٥ .

ولم تفعل انجلترا وفرنسا شيئاً إزاء هذا التحدى الهتلرى المتزايد سوى عقد مؤتمر فى « ستريزا » فى ١١ أبريل ١٩٣٥ لم يتمخض عن شىء سوى احتجاج وجهوه إلى ألمانيا .

ورَدَّ هتلر على « احتجاج ستريزا » بخطابٍ فى الرايشستاج يوم ٢١ مارس ١٩٣٥ ندد فيه بحمق وفداحة ظلم ممارسة الحلفاء ضد ألمانيا ، وندد بمضار الحرب وتفاهة النتائج التى توصل إليها الحلفاء الذين تذرعوا أثناء الحرب بأن هدفهم بعد الانتصار هو العمل تحقيق الأمانى القومية لشعوب أوروبا ، إذ قال هتلر فى خطابه : ''لا تبرر النتائج « القومية » لأحداث ومعارك الحرب العالمية الأولى تلك الدماء التى تم سفكها على أراضى القارة الأوروبية طيلة الثلاثمائة عام الأخيرة ... ولو قدمت دول أوروبا مجرد جزء صغير من هذه التضحيات نحو أهداف أكثر حكمة لكان ذلك أكثر فائدة

وأعظم أثراً بالنسبة للعالم بأسره » .

وهكذا ندد هتلر بتفاهة أهداف الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى ، وكأنه يقول لهم : ماذا ربحتم أيها الحلفاء ، وماذا كسبتم من جراء معارك الحرب العالمية الأولى ؟ هل كانت معارك الحرب العالمية الأولى من أجل أن تقيموا للتشيك دولة لم تكن موجودة لهم ؟ هل كانت معارك الحرب العالمية الأولى بكل ما سفك فيها من دماء وبكل ما أزهق فيها من أرواح وبكل ما أنفق عليها من أموال من أجل أن تقتطعوا جزءاً من الأراضى الألمانية لتعطوه للتشيك أو للبولنديين أو لغيرهم ؟ وهل تتناسب هذه الأهداف مع التكاليف الباهظة للوسائل ؟

وعلى الرغم من صحة انتقاد هتلر وتنديده بأطراف الحرب العالمية الأولى إلا أن الحلفاء لم يكونوا يهدفون إلى تحقيق مطالب القوميات الأوروبية فحسب . لقد أضحت السياسة فى مطلع القرن العشرين سياسة عالمية تشمل كل الكرة الأرضية Global Politics ولم يكن هَمُّ وهدف بريطانيا مثلاً فى الحرب العالمية الأولى هو انتزاع أجزاء من أراضى ألمانية لتفديمها إلى تشيكوسلوفاكيا أو غيرها ، ولكن هدف بريطانيا الحقيقى هو تحجيم ألمانيا والقضاء على قدرتها على الخروج إلى العالم والقضاء على أى فرصة لألمانيا فى الحصول على مستعمرات فى إفريقيا أو آسيا أو استراليا أو الأمريكتين . كانت ألمانيا تريد السيطرة على كل أوروبا لتكون كل أوروبا نقطة ارتكاز اوثوب ألمانيا إلى تكوين مستعمرات فى قارات العالم . ألم تحتل ألمانيا معظم أراضى فرنسا ووصلت قواتها إلى اليونان وتحالفت ألمانيا مع إيطاليا ، ومع تركيا ؟ ألم تصل ألمانيا بذلك إلى مياه الأطلسى وإلى مياه البحر المتوسط ؟ هل تتركها بريطانيا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية التى اضطرت إلى المشاركة فى السياسة الخارجية إلى حد الاشتراك فى الحرب العالمية اشتراكاً فعلياً لدرء مثل هذا الخطر الألمانى ؟

كان هدف بريطانيا والحلفاء هو تقليص قدرة ألمانيا فى الحصول على مستعمرات ، وتمخضت الحرب العالمية الأولى عن إحاطة ألمانيا بدول أوروبية تحول دون وصول ألمانيا إلى البحار لتحطيم قدرتها على الاستعمار . هذا هو

أهم أهداف حروب أوروبا سواء فى الحرب العالمية الأولى أو الحرب العالمية الثانية ياهتلر !

ثم تشدق هتلر ـــ ويالعجب ـــ فى نفس الخطاب المشار إليه ، تشدق بأنه ليس لألمانيا مطامع استعمارية ، والأعجب من ذلك هو تعليله لعدم وجود أطماع استعمارية لدى الألمان بأنه هو عدم رغبة الألمان فى تلويث الجنس الآرى الذى ينتمون إليه لو اختلط أبناء الشعب الألمانى بشعوب المستعمرات .

وكأن هتلر يندد بتلوث الجنس الإنجلو ساكسونى لاختلاط أبنائه بشعوب المستعمرات عندما قال فى ذات الخطاب متظاهراً بالحرص على السلام العالمى وبالعزوف عن الرغبة فى الاستعمار ، قال : ''وتعتبر نظريتنا العنصرية كل حرب تهدف إلى استعباد شعب غريب والسيطرة عليه إجراء يؤدى إن عاجلاً أو آجلاً إلى تغير المنتصر وإضعافه داخلياً ، مما يؤدى فى النهاية إلى هزيمته ... إن النتيجة المحتومة لأى حرب تشنها أى دولة هو تدمير زهرة شباب الأمة التى تشن الحرب .. إن ألمانيا تريد السلام ... إن ألمانيا تنشد السلام .. » .

هل صَدَقَ هتلر عندما أعلن رغبته فى السلام يوم ٢١ مارس ١٩٣٥ بالرايشستاج الألمانى ؟ كلا لم يكن هتلر صادقاً فى إعلانه الرغبة فى السلام إذ أن ممارساته السياسية والعسكرية فضحت كذب مزاعمه فى الرغبة فى السلام .

ويعتبر تظاهر هتلر بالرغبة فى السلام استعداداً للحرب وتمويهاً على العدو مثلاً تحتذيه الدول اليوم عندما تعلن الرغبة فى السلام ضمن استعدادات الحرب .

وفى عام ١٩٥٦ قالت وزيرة خارجية إسرائيل جولدا مائير فى سياق خطابها بالأمم المتحدة وهى تمسك فى يدها بغصن زيتون : « إن هدف إسرائيل الأول هو السلام . لقد كانت سياستنا دائماً ، وستكون سياستنا دائماً هادفة إلى تعاون أخوى مع دول العالم ، وخصوصاً مع جيراننا العرب » . وبعد ستة شهور فقط من تصريح وزير الخارجية جولدا مائير هذا جاء العدوان الإسرائيلى

الثانى الكبير فى ثنايا العدوان الثلاثى على مصر فى ذات عام ١٩٥٦ الذى كانت وزيرة خارجية إسرائيل تعلن من فوق منبر الأمم المتحدة فى بدايته وهى تمسك بغصن زيتون أن حكومتها تهدف إلى السلام !

لا تزال بعض الدول تقلد ممارسات هتلر السياسية لتعلن خلاف ما تبطن ، ويظنونها براعة سياسية ، وهى الحماقة السياسية بأجلى معانيها ، إذ لا يحيق المكر السيّىء إلا بأهله ، وليت ساسة العالم يؤمنون أن الله موجود خبير بصير عادل !

ولا تزال بعض الدول أيضاً تحاول محاكاة التكتيكات العسكرية لقادة هتلر العسكريين : حرب خاطفة .. اختراق بالمدرعات ... إغارة بالطائرات ... تطويق من الخلف .. التفاف من وراء القوات المدافعة ... إلخ ... إلخ ... وليت الناس يستخلصون عبرة نتائج معارك القادة العسكريين لهتلر ، وما جرته فى النهاية على الشعب الألمانى من دمار !

بعد عامين فحسب جمع هتلر قادة حزبه وجيشه ، وأعلن لهم ما أوصاهم أن يعتبروه وصيته فى حالة موته ، وكان ذلك فى ٥ نوفمبر ١٩٣٧ ، قال : ''إن هدف السياسة الألمانية هو توفير الأمان للمجتمع الألمانى . إن الألمان هم صفوة الجنس الآرى . ومن الضرورى الحفاظ على نقاء هذا الجنس والدفاع عن مصالحه التى تتمثل فى موضوع المجال الحيوى الذى نعقد من أجله هذا الاجتماع مع حضراتكم ..''

الجنس الآرى ، وتفوُّق الجنس الآرى على البشر ، وتوفير الأمن للجنس الآرى ، والألمان هم صفوة الجنس الآرى .. ماذا فعل هتلر لتوفير الأمن للجنس الآرى وللألمان صفوة الجنس الآرى .. نتائج أعماله معروفة سجلها التاريخ ، فليتواضع البشر تحت سماء رب البشر ، وليعرف الناس حدود قدراتهم تحت سماء رب الناس .

المجال الحيوى ، والمصالح الحيوية ، ذريعة الحرب العدوانية الدائمة منذ بدأت الحروب بين البشر حتى اليوم . أراد هتلر السيطرة على المجال الحيوى لألمانيا ... وما أدراك ما المجال الحيوى لألمانيا ! إنه احتلال جيوش ألمانيا لكل دول أوربا

المحيطة بها ، ولو تحقق لألمانيا ذلك لكانت قادرة على أن تقول لبريطانيا : ''أنا ألمانيا العظمى .. أنا أوروبا ... أنا المحيط الأطلسى والبحر المتوسط .. ما هو نصيبى من المستعمرات ؟ إن لم أحصل على نصيب عادل من المستعمرات لن تمر لك سفينة بالأطلسى ، ولن يعمل لك أسطول بالبحر المتوسط !

وهكذا تصادم المجال الحيوى وتصادمت المصالح الحيوية لألمانيا مع المجال الحيوى والمصالح الحيوية لدول أخرى مثل : بريطانيا وفرنسا وروسيا وأمريكا ، ناهيك عن دول أوروبية صغيرة محيطة بألمانيا مثل هولندا وبلجيكا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وبولندا ، وهى دول اجتاحها هتلر فى بداية الحرب العالمية الثانية كخطوات أولى تمهيدية لتحقيق ما أسماه هتلر بالمجال الحيوى والمصالح الحيوية لألمانيا . وماذا يضير الإنسان لو قنع بما فى يديه و لم يطمع فيما بيد غيره ؟! وماذا يضير دولة من الدول لو تخلت عن الأطماع فى الحصول على ما تمتلكه دولة أخرى من خيرات فَوْقَ أو تحت أراضيها ؟!

من الغريب حقاً أن يشهد العالم بأسره تقدم الألمان المدهش بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وانصرف اهتمام الشعب الألمانى إلى بناء حياته من جديد على أساس من الحرص على السلام وتنكُّبِ العدوان على الآخرين . عندما انصرفت جهود الشعب الألمانى نحو البناء ارتفع البناء ، وعم الرخاء على الألمان ، وزادت رفاهيتهم ، واستقرت حياة أبناء ألمانيا ، وازدهر اقتصادهم ، وأصبح للمارك الألمانى مكان الصدارة بين العملات العالمية وأصبح ميزان المدفوعات الألمانى لصالح ألمانيا إزاء جميع دول العالم نظراً لتزايد قيمة المنتجات الصناعية الألمانية .

وعندما ألقى اليابانيون السلاح ، وتنكبوا العدوان على الدول المجاورة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، تقدم الشعب اليابانى فى مجالات الصناعة والتجارة تقدماً منقطع النظير وأصبحت للين اليابانى مكانة تفوق مكان الجنيه الاسترلينى والدولار الأمريكى . فليتأمل وليتدبر البشر أهوال ومضار الحرب العدوانية غير العادلة وليحذروها وليتجنبوها ، وليتأمل وليتدبر ساسة العالم وقادته مزايا

السلام القائم على العدل ليحرصوا عليه حرص كل إنسان على الحياة وعلى نعيم الحياة .

أعمت الدكتاتورية بصبرة هتلر ، وأضلته العنصرية ، وغرررت به نظرية المجال الحيوى التى أوعز إليه بها فيما يبدو أناس على شاكلة البروفيسور « كارل هوشوفير » ، أستاذ الجغرافيا السياسية بجامعة ميونيخ ، وأحد الذين خدعوا أنفسهم وخدعوا الناس بادعائهم القدرة على التنبوء بالغيب ومعرفة ما يخبئه المستقبل لا بالنسبة للأفراد فحسب ، ولكن بالنسبة للدول والأمم أيضاً !!

راح هتلر بعد استيلائه على جميع سلطات الدولة التنفيذية والتشريعية والقضائية يروج لنظريته عن مزايا الجنس الآرى ، وراح يفرض على قادته العسكريين ووزرائه ومستشاريه نظريته فى ضرورة حصول ألمانيا على ما أسماه هتلر ''المجال الحيوى لألمانيا'' .

كان يجتمع بمستشاريه العسكريين والمدنيين أمثال : المشير « فون بلومبرج » وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة ؛ والفريق ''فون فريتشه'' ، رئيس أركان الجيش ؛ والدكتور ''رايدر'' ، القائد العام البحرية ؛ والفريق ''جورنج'' ، القائد العام لسلاح الطيران ؛ والبارون ''فون نوراث'' وزير الخارجية ، ليعرض عليهم نظريات وخطط تنفيذها .

وفى أحد الاجتماعات التى عقدها هتلر مع مستشاريه راح هتلر يقول لهم كما سجل ذلك العقيد ''هوسباخ'' السكرتير : ''من الضرورى غزو وضم تشيكوسلوفاكيا والنمسا إلى ألمانيا'' .

ولننظر إلى مبررات هتلر فى رغبته ضم هاتين الدولتين إلى ألمانيا السبب الذى أفضى إلى اشتعال الحرب العالمية الثانية ، قال : ''إن ضم تشيكوسلوفاكيا والنمسا إلى ألمانيا سيحقق لألمانيا الحصول على كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية ، وسيؤمّن لألمانياحدوداً استراتيجية أفضل ، وسيُمَكِّنُ لأكثر من ١٢ مليون ألمانى موجودين فى هاتين الدولتين من العودة إلى وطنهم الحقيقى : ألمانيا ، مما يتيح لألمانيا تكوين ١٢ فرقة عسكرية جديدة تضاف إلى صفوف القوات المسلحة الألمانية .

عارض بعض قادة هتلر النابهين المحنكين هذه الاتجاهات الهتلرية المهلكة ، فماذا يفعل الديكتاتور الألمانى ، الزعيم ، القائد ، الفوهرر ؟

عَزَلَ وفَصَلَ وطرد ! طرد المشير ''فون بلومبرج'' وزير الدفاع واستولى على كل سلطاته لنفسه فنصَّب نفسه قائداً عاماً للقوات المسلحة الألمانية . ولما أصبحت وزارة الدفاع الألمانية بدون وزير ، ألغى هتلر وزارة الدفاع ذاتها ، وأقام بدلاً منها ''قيادة عليا للقوات المسلحة'' تولى رئاستها ظاهرياً الفريق ''كاتيل'' ، ولكن هتلر هو الذى كان يتولى الرئاسة الفعلية لها ، وهو الذى أدار من خلالها معارك الحرب العالمية الثانية .

وإذا عارض الفريق فون فريتشه آراء واتجاهات هتلر ، طرده هتلر من منصبه كرئيس لأركان الجيش الألمانى . ولما كان هذا المنصب يحتاج إلى وجود شخص بالضرورة ، قام هتلر بتعيين الفريق ''فون برواختش'' فى هذا المنصب . وعارض هتلر فى قراراته واتجاهاته أيضاً بعض الوزراء المدنيين مثل : « فون نوراث » ، وزير الخارجية ، فطرده هتلر وعَيَّنَ بدلاً منه ''روبنتروب'' .

ولم يتورع هتلر أيضاً عن عزل وطرد وزير الاقتصاد الألمانى العظيم الشهرة الواسع الصيت الذى حقق لألمانيا معجزة النهوض الاقتصادى بعد الحرب العالمية الأولى ، وسيحقق لها أيضاً النهوض الاقتصادى بعد الحرب العالمية الثانية ، لم يتورع هتلر عن عزل وزير الاقتصاد الألمانى الدكتور « شاخت » وعَيَّنَ « فونك » وزيراً للمالية بدلاً من الدكتور « شاخت » !

أجرى هتلر كل هذه التغييرات الوزارية يوم ٤ نوفمبر ١٩٣٨ تمهيداً للاستمرار فى ممارساته العدوانية لتحقيق المجال الحيوى لألمانيا بعد أن كانت القوات المسلحة الألمانية قد عبرت حدود النمسا يوم ١٣ مارس ١٩٣٨ . وعندما أبدى بعض مستشارى هتلر ارتيابهم فى نظرية هتلر فيما يتعلق بضرورة حصول ألمانيا على « مجالها الحيوى » قال لهم هتلر : ''ها هى ذى بريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول لم تحرك ساكناً عندما عبرت ''قواتى'' حدود النمسا . مم تخافون ؟''

ولقد كان المستشارون المعارضون لنظرية المجال الحيوى الألمان على صواب

فى معارضتهم لها ، وكان هتلر مخطئاً كما أثبتت الأيام ذلك دون ريب . أقال هتلر معارضيه كما أشرنا ومضى فى خطوات الحرب خطوة إثر خطوة .

زاد هتلر قواته المسلحة من ٢٧ فرقة قبل ضم النمسا إلى ألمانيا ليصبح عدد الفرق المسلحة الألمانية ٥٥ فرقة ، وفرض هتلر استفتاء فى أقليم السوديت الذى كان يضم ٣ ملايين ألمانى جعلتهم معاهدة فرساى تابعين لتشيكوسلوفاكيا .

# هتلر يواصل تحقيق أطماعه ...

ولكن تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا أبدى اهتمامه بهذه المسألة ، واستطاع الحصول على وساطة موسولينى زعيم إيطاليا الفاشستى الذى غدا صديقاً متحالفاً مع هتلر ، فتم عقد مؤتمر فى ميونيخ من سبتمبر ١٩٣٨ حضره تشمبرلين (من بريطانيا) وموسولينى (من إيطاليا) وهتلر (من ألمانيا) وديلاديبه (من فرنسا) . وأخبرهم هتلر بضم السوديت نهائياً إلى ألمانيا . وتظاهر هتلر بأنه لم تعد له مطامع فى أوروبا ، ولكنه كان كاذباً .

استدعى هتلر رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا «هاشا» إلى برلين وأجبره على توقيع معاهدة تضع تشيكوسلوفاكيا تحت حماية ألمانيا فى ١٥ مارس ١٩٣٩ كغطاء شرعى لدخول جيوش هتلر إلى تشيكوسلوفاكيا التى كان قيامها وليد معاهدة فرساى . ثم استعاد هتلر إقليم الميمل من ليتوانيا .. وزادت مخاوف دول أوروبا من تزايد أطماع هتلر الذى بدأ يطالب بولندا بضرورة فتح ممر ''داترج'' وبضرورة عودة داترج نفسها كميناء ألمانى على بحر الشمال ، وشرع فى إنشاء طريق برى وخط سكة حديد يتجه نحو دانتزج معلناً أنه لابد من إكمال الطريق وخط السكة الحديد للوصول من ألمانيا إلى بحر الشمال ثم المحيط الأطلسى .

رفضت بولندا مطالب هتلر ، وشرعت فى عقد معاهدة تضامن مع كل من انجلترا وفرنسا عسى أن يرتدع هتلر ويكف عن ترديد مطالبه وتهديداته من أجل استرجاع ألمانيا لممر وميناء دانزج ، وواصل هتلر رصف الطريق البرى ومد خط السكة الحديد حتى التحم بالحدود البولندية .

مع ازدياد التوتر الدولى عقدت فرنسا وبريطانيا معاهدات دفاع مشترك مع رومانيا واليونان وتركيا ، ورد هتلر على ذلك بعقد معاهدة عسكرية بحتة مع إيطاليا أطلق عليها ''جوبلز'' وزير الدعاية الألمانية اسم ''الميثاق

الفولاذى'' يسارع فوراً كل من طرفيه ''لمساعدة الطرف الآخر بتقديم كل ما لديه من قوات فى البر والبحر والجو'' .

حاولت بريطانيا وفرنسا إدخال روسيا فى تحالف ضد ألمانيا ، وفشلت المفاوضات على صخرة أطماع روسيا فى بولندا ورومانيا ، وانتهز هتلر الفرصة ، وأوفد وزير خارجيته روبنتروب إلى موسكو فى ٢٣ أغسطس عام ١٩٣٩ ليعقد معاهدة اقتصادية ومعاهدة عدم اعتداء مع روسيا ، ولقد شهد العالم كيف تنكر هتلر لجميع شروط هذه المعاهدة عندما زحفت جيوش ألمانيا لتتوغل فى الأراضى الروسية تنفيذاً لخطة « باروسا » التى كان هتلر يحلم بها ليل نهار .

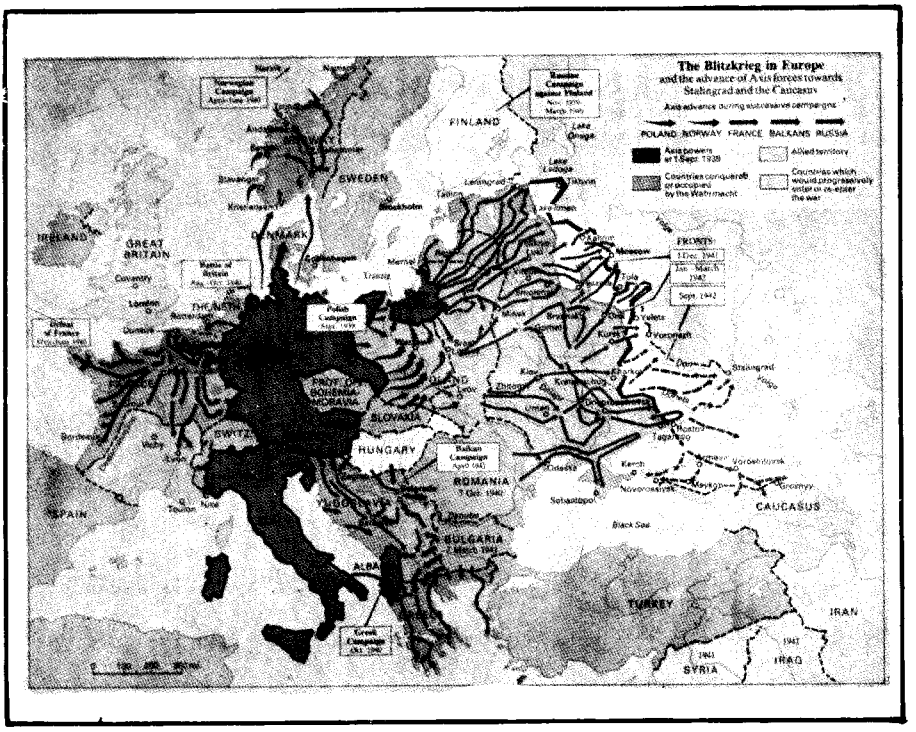


تحركات القوات الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية

بعد أن اطمأن هتلر من ناحية الجبهة الشرقية بمعاهدته مع الروس انقضت القوات الألمانية المسلحة على بولندا فجر يوم أول سبتمبر ١٩٣٩ ، وحطمت جيش بولندا واحتلت دانزج ، ودخلت قوات هتلر وارسو عاصمة بولندا ذاتها يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٣٩ .

كانت فرنسا وبريطانيا قد أعلنتا الحرب على ألمانيا يوم ٣ من سبتمبر عام ١٩٣٩ ، ولكن الإعلان ظل مجرد إعلان نظرى . وعندما التهم هتلر بولندا ، لم تستطع جيوش الدولتين أن تفعل شيئاً .

كل ما استطاعت بريطانيا أن تفعله هو إنزال قوات بريطانية فى النرويج فى مطلع ١٩٤٠ لوقف أطماع هتلر وستالين فى التوسع أكثر وأكثر .

هكذا اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ..

وليس من شأننا توخياً للإيجاز الذى نحرص عليه أن نخوض فى تفاصيل تطورات ومعارك الحرب العالمية الثانية رغم أن بطل المأساة التى نعرض لها بالدراسة كان واحداً من القادة الألمان الذين أفرزتهم هذه الحرب ، وكان أحد نواب هتلر ، وقام برحلته إلى بريطانيا أثناء دوران رحى الحرب العالمية الثانية .

يكفى ما أوجزناه من بيان كيفية بدء الحرب العالمية الثانية لتتضح الأهداف التوسعية والأطماع المادية لأطرافها مما يوضح طبيعة أهداف الحرب فى أوروبا .

# وقائع ماساة هيس

دُونما حاجة إلى الخوض فى تفاصيل تطورات ومعارك الحرب العالمية الثانية التى تستغرق بالفعل مجلدات كبيرة وكثيرة ، يهمنا فحسب أن نشير إلى أهم وقائع وأحداث هذه الحرب لندرك المدى الذى كانت قد وصلت إليه وقائع وأحداث الحرب العالمية الثانية عندما انطلق « **رودلف هيس** » بطائرته المجهزة تجهيزاً خاصاً لرحلته التعيسة من ألمانيا إلى إنجلترا يوم ١٠ مايو ١٩٤١ .

● كان هتلر قد التهم النمسا واستولى على إقليم السوديت . فى مارس ١٩٣٨ .

● ثم التهم هتلر تشيكوسلوفاكيا وفرض عليها حمايته واحتلت قواته كامل أراضى تشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٣٩ .

● هاجم هتلر بولندا فى أول سبتمبر ١٩٣٩ وأتم احتلال العاصمة وارسو يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٣٩ .

● هجم هتلر على النرويج والدنمرك يوم ٩ إبريل ١٩٤٠ واستسلمت الدانمرك يوم ١٠ يونيو ١٩٤٠ ثم استسلمت النرويج على إثر استسلام الدنمرك .

● غزت القوات الألمانية بلجيكا وهولندا يوم ١٤ مايو ١٩٤٠ على الرغم من سابق إعلانهما الحياد .

● اخترقت القوات الألمانية فى شهر مايو ١٩٤٠ أيضاً الحدود الفرنسية عند ''سيدان'' وحطمت خط ماجينو حتى وصلت إلى مصب نهر ''السوم'' ووصلت إلى ميناء كاليه الفرنسى مما أدى إلى انسحاب القوات البريطانية بعد اليأس التام من مقاومة الألمان بالرغم من التعاون بين الفرنسيين والبريطانيين .

● بالرغم من أن هتلر كان يستطيع أن يبيد كل القوات البريطانية التى كانت

موجودة فى فرنسا قبل انسحابها من ''دنكرك'' إلا أنه رفض تنفيذ نصيحة قادته العسكريين بذلك وسمح لحوالى ٣٠٠ ألف جندى بريطانى بالرحيل عن ''دنكرك'' .

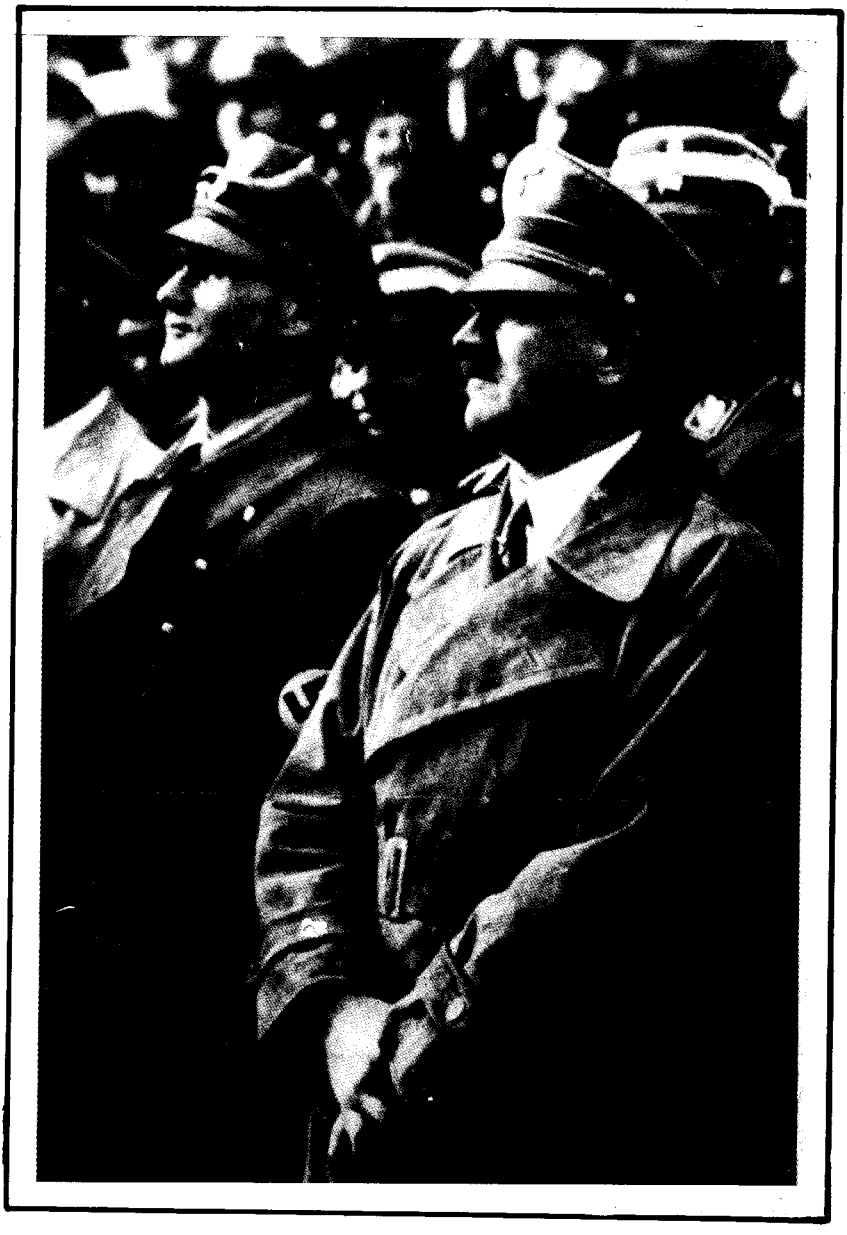

« هيس » الرجل الثالث من الرايخ الألمانى يظهر بجوار الفوهرر

● دخلت القوات الألمانية باريس يوم ١٤ يونيو ١٩٤٠ .

● أعلنت إيطاليا الحرب إعمالاً لتحالفها السابق مع ألمانيا يوم ١٠ يونيو ١٩٤٠ ، واستخدم موسولينى تعبير ''دول المحور'' لأول مرة ، وظلت تتردد بعد ذلك .

● وقعت فرنسا شروط هدنة مهينة مع الألمان فى غابة ''كومبين'' الفرنسية يوم ٢٢ يونيو عام ١٩٤٠ .

● يوم ١٦ يوليو عام ١٩٤٠ ، أصدر هتلر أمر القتال رقم (١٦) بالاستعداد لغزو إنجلترا وجاء فيه : « لماكانت انجلترا بالرغم من ''وضعها العسكرى اليائس'' ''لا تبدى أى إشارة'' تدل على رغبتها فى ''التفاهم'' ، فقد قررت إعداد عملية ضد إنجلترا ، وتنفيذ هذه العملية إذا لزم الأمر » .

● أمر هتلر ببدء الحرب الجوية ضد انجلترا تمهيداً للقيام بغزوها . وقد بدأت الحرب الجوية فعلاً يوم أول أغسطس ١٩٤٠ . وليلة ١٥/١٦ أغسطس ١٩٤٠ اشتركت ١٧٨٦ طائرة ألمانية فى الإغارة على إنجلترا ، بينما كانت تتولى حماية الطائرات القاذفة الألمانية ١٢٠٠ طائرة اعتراضية ألمانية أخرى أى أنه قد بلغ مجموع الطائرات الألمانية فى غارة جوية واحدة ثلاثة آلاف طائرة .

● هاجم موسولينى اليونان وهدد دول البلقان مثل بلغاريا والمجر ويوجوسلافيا مما اضطر هتلر إلى الهجوم على يوغوسلافيا فاحتلت قواته يوغوسلافيا واليونان فى إبريل ١٩٤١ .

● وأثبتت الغارات الجوية على انجلترا عدم جدواها فى إجبار انجلترا على الاستسلام لمطالب هتلر إذ لم تكن الغارات الجوية الألمانية مصحوبة بهجوم أرضى بالدبابات والمدفعية والمشاة ، وتكبدت القوات الجوية الألمانية خسائر فادحة فى الطائرات المهاجمة نتيجة براعة وبسالة ضباط الطيران البريطانى ، ولاختراع جهاز الرادار الذى أفاد الإنجليز فى الكشف عن الطائرات المعادية عن بعد وتوجيه المقاتلات الإنجليزية والمدفعية المضادة للطائرات نحوها لإسقاطها أو لإبعادها عن أهدافها .

● اتضحت رغبات هتلر الاستعمارية فى إفريقيا مبكراً وتمثلت فى هجوم

القوات الألمانية بقيادة المارشال إروين روميل على شمال إفريقيا حتى وصل إلى العلمين حيث توقف فى يونيو ١٩٤٢ .

● وندع وقائع الحرب فى المحيط الباسيفيكى وجنوب شرق آسيا حيث كانت تدور رحاها بين اليابان والأمريكتين بشكل رئيسى .

كان هتلر بذلك قد دمر الحدود السياسية داخل قارة أوروبا حتى وصلت قواته إلى غرب القارة باحتلال الألمان لباريس عاصمة فرنسا ، وكانت قوات هتلر قد احتلت اليونان ودخلت أثينا وانفتحت على الساحل الأوروبى من البحر المتوسط ، بينما كانت قوات المارشال روميل تقوم بعملياتها على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط .

كانت تلك هى صورة أوروبا عندما شرع « **رودلف هيس** » فى القيام برحلته البائسة من ألمانيا إلى انجلترا .

# فكرة الرحلة البائسة

الفكر يسبق العمل دائماً . وإنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نَوَى . ولذلك اهتم المفكرون بعالم الفكر النظرى واعتبروه أكثر أهمية وأولوية أجدر بالدراسة من عالم الواقع الفعلى ، لأن عالم الظواهر والخبرات الحسية يتأثر وجوداً وعدما بممارسات الفكر باعتبار أن النزوع الفكرى يسبق الشروع العملى ويتحكم فيه ويحدد مساره .

ولقد كان لأبى الفلسفة المثالية الألمانية كتابان : أحدهما هو : نقد العقل النظرى ، والثانى هو : نقد العقل العملى ربط فيهما بين « ما يجب » وما يحدث .

ولقد سبق أن أشرنا إلى توجُّه بطل المأساة التى نعرض لها بالدراسة الآن إلى دراسة العلوم النظرية الإنسانية كالتاريخ والجغرافيا السياسية والفلسفة فى محاولة لفهم العالم وفهم ظروف وطنه الألمانى الذى أحبه حباً جماً .

وسبق أن قدمنا لمحات وجيزة ولكنها معبرة فيما نرجو عن العلاقة الوطيدة التى نشأت بين الجنرال السابق والأستاذ البروفيسور « كارل هوشوفير » أستاذ الجغرافيا السياسية بجامعة ميونيخ وبين تلميذه « **رودلف هيس** » الذى أصبح الساعد الأيمن لهتلر الذى ارتفع نجمه ليكون دكتاتوراً جمع بين يديه كل السلطات فى ألمانيا ، وارتفع بالتالى نجم بطل المأساة التى نعرض لها بالدراسة « **رودلف هيس** » ، ليصبح النائب الثانى لهتلر بعد النائب الأول « جورنج » .

كان هيس يطمع فى أن يكون النائب الأول لهتلر ، بل كان هيس أكثر من نائب أول لهتلر طوال سنوات تأسيس حزب العمال الألمان الذى انبثق عنه الحزب الاشتراكى الألمانى المعروف بالحزب النازى إذ كان ملازماً لهتلر صباح مساء فى الغدو والرواح ، يتولى من خلال رجاله الذين جمعهم حوله

ووفر لهم تسليحاً متزايداً وتدريباً على أعمال حراسة الزعيم الفوهرر ومقاومة الشغب أثناء اجتماعات الحزب مما جعل الحزب يشق صفوفه بين جماهير الشعب الألمانى وهو يزداد أتباعاً وأنصاراً وأعضاء وممولين ألمان ، ولم يكد هتلر يصل إلى مستشارية ألمانيا حتى كان هيس على رأس قوات العاصفة الألمانية ، وفى قمة جهاز المخابرات الألمانى ، شارك هتلر زنزاته السجن ، وشاركه فى تأليف كتاب كفاحى ، واستقل هيس - بتزايد مشاغل هتلر - بإدارة وتصريف جميع شئون الحزب النازى وبرنامجه ونشراته وكتبه وكتيباته . ولكن تزايد أهمية سلاح الطيران جعلت لجورنج فرصة أكبر فى الحصول على منصب النائب الأول لهتلر ، وقنع هيس بمنصب النائب الثانى للفوهرر .

ومع ازدياد عنف الحرب ، غدا لجنرالات هتلر الحظوة الكبرى عند هتلر ، وتوارت أهمية « هيس » نسبياً .

طوال سنوات ما قبل الحرب كانت لـ « **رودلف هيس** » حظوة لا تدانيها حظوة عند هتلر ، وكان للجرح الذى يحمله هيس فوق جبهته عندما افتدى هتلر بنفسه أثناء اجتماع الحزب النازى بحانة البيرة المعروف دلالة لا تفوقها دلالة بشأن نوعية العلاقة الوثيقة الحميمة بين هتلر وهيس .

ولما كان هتلر مؤمناً متأثراً كل التأثر بنظريات البروفيسور « كارل هوشوفير » فيما يتعلق بالجنس الآرى وبنظرية المجالات الحيوية ، ولما كان البروفيسور « كارل هوشوفير » ينادى من واقع خبراته فى الحرب الأولى باستحالة أن تحارب ألمانيا فى جبهتين فى وقت واحد ، وكان « هوشوفير » مؤمناً أيضاً بمزايا وقدرات الأنجلو ساكسون السياسية والحربية ، فلقد كان من الطبعى أن تنتقل هذه الأفكار إلى هيس وبالتالى إلى هتلر ، وكثيراً ما كان هيس يحرص على أن يلتقى أستاذه « هوشوفير » مع قائده هتلر لمناقشة موضوعات سياسية ألمانية وعالمية . وبذور الحرب العالمية الثانية تكمن فى هذه اللقاءات الفكرية كما أن بذور رغبة هتلر فى الصلح مع بريطانيا ، والاتفاق معها تكمن فى هذه اللقاءات الفكرية ، كما أن بذور خطورة المذهب الشيوعى المادى الملحد الذى ساد روسيا تحت قيادة ''ستالين'' بالنسبة لتهديد أمن ألمانيا كانت تكمن فى

هذه اللقاءات الفكرية ، كما أن بذور قيام « **رودلف هيس** » برحلته التعيسة كانت تكمن فى هذه اللقاءات الفكرية ، يغذيها ويزيدها نمواً وسرعة خُطَى إيمان هيس بصحة أفكار أستاذه « هوشوفير » .

**هيس أثناء زيارته لمعرض الفنان الألمانى « ماتياس بادوا » ويظهر فى الصورة وزير الدعاية « جوبلز » وهو يصافح الفنان الألمانى .**

وبالفعل ، رفض هتلر تدمير القوات البريطانية فى دنكرك عندما نجحت قواته فى غزو فرنسا . ووجه هتلر فى خطبته المتتالية نداءات إلى بريطانيا لتتفق معه ، ولكن هتلر كان يريد دون ريب مفاوضة بريطانيا من موقف قوة لا تقاوم ، أى أن هتلر كان يريد من بريطانيا أن تستسلم لشروطه وأن تخضع لتحقيق رغباته .

ولم تكن رغبات هتلر ومطامعه لغزاً يستعصى على الفهم والتخمين . لقد عَبَّر عنه بكلمات واضحة سافرة « **رودلف هيس** » بعد وصوله إلى انجلترا إذ طلب أن تدع بريطانيا ''أوروبا'' لألمانيا ، فى مقابل أن تدع ألمانيا ''بقية العالم'' لبريطانيا !

ولسوء حظ هيس ، ولسوء حظ هتلر ، ولسوء حظ ألمانيا ، لم يكن الإنجليز الذين تمرس قادتهم بإدارة سياسة العالم ليبتلعوا هذا الطعم الألمانى بسهولة .

رفض الإنجليز ابتلاع الطعم الألمانى ، إذ لم يغب عن فطنة تشرشل أن ألمانيا عندما تبتلع أوروبا ستكون من القوة بحيث تطالب بنصيب عادل من النفوذ وممارسة ''استعمار بقية العالم'' !

وسوابق هتلر فى نقض معاهداته مع تشمبرلين وغيره كثيرة فى غضون السنوات القليلة الماضية .

ومع رغبة هتلر الجامحة فى غزو روسيا أصبحت الرغبة فى الصلح مع بريطانيا أكثر إلحاحاً . بعد عام ونصف العام من بداية الحرب العالمية الثانية احتل الألمان معظم دول أوروبا بما فى ذلك فرنسا أكبر جيران ألمانيا من جهة الغرب . واحتل الألمان كل الدول المحيطة بألمانيا من جهة الشمال ومن جهة الجنوب حتى اليونان ووصلت ألمانيا جنوباً إلى شاطىء البحر المتوسط .

ماذا عن جار ألمانيا من جهة الشرق ؟

رأى هتلر ضرورة تحطيم روسيا إذ كانت روسيا البلشفية الشيوعية المادية عدواً لا يستهان به يزداد قوة تحت حكم ستالين الشمولى .

**صورة تظهر هيس مع قادة الرايخ الثالث الألمانى أثناء مناقشة بين هتلر ووزير التخطيط الألمانى « سبير » لتصميم مبنى الرايشستاج .**

كان هتلر ــ غروراً بما أحرزته قواته من انتصارات ــ يميل إلى الاعتقاد أن بإمكانه غزو روسيا دون صلح ووقف حرب مع بريطانيا ولم يكن قادته العسكريون يوافقونه على ذلك ، بل كانوا يعارضونه بشدة . ولم يكن مستشاوره السياسيون والاستراتيجيون والجيوبوليتكيون وعلى رأسهم البروفيسور « كارل هوشوفير » يوافقونه على ذلك .

ولا ريب أن تحقيق صلح مع بريطانيا يوفر ظروفاً أفضل لنجاح ألمانيا فى غزو روسيا ... ولكن كيف السبيل إلى صلح مع ألمانيا ؟

لقد تسللت كلمات طلب الصلح مع ألمانيا فى التوجيه الاستراتيجى الذى حرره هتلر فى أمر القتال السادس عشر المتعلق بالاستعداد للهجوم على انجلترا كما أشرنا إى ذلك . وتسللت عبارات طلب هتلر لتحقيق صلح مع بريطانيا فى كثير من الخطب .

وإذا كان هتلر قد احتل دول أوروبا ، فإنه لم يحتل بجنوده أية أراض بريطانية ، لماذا لا توافق إنجلترا على الصلح مع ألمانيا ؟ لماذا ؟ وكيف السبيل إلى عقد صلح مع انجلترا .

وعندما علم « **رودلف هيس** » عزم هتلر على غزو روسيا قبل إتمام صلح مع إنجلترا ، أسرع ذاهباً إلى منزل أستاذه ''كارل هوشوفير'' ، ودق بابه ، وبادر أستاذه ـــ لو صح ما جاء بمذكرات هيس منسوباً إليه ـــ بادر أستاذه بقوله :

ـــ سيدى البروفيسور ... سيدى البروفيسور ..

ـــ قال هوشوفير : رودلف .. ماذا بك ؟ ... ماذا حدث؟..

ـــ قال هيس : إن هتلر يريد أن يغزو روسيا !...

ـــ قال هوشوفير يجزع : وماذا أفعل أنا حيال ذلك ؟...

ـــ قال هيس بحيْرة : ألم نتعلم أنه لن تكون هناك حرب فى جبهتين فى وقت واحد ؟

ـــ قال هوشوفير : علمنا ذلك وأذعناه وأوصينا به إلى حد أن ارتضاه هتلر وأقر كتابته فى كتاب ''كفاحى'' . ماذا تقول أكثر من هذا ؟ إن هتلر مخطىء لو شرع فى غزو روسيا بينما هو يحارب فى جبهة أخرى تقف بريطانيا من ورائها . إن هتلر مخطىء فى هذا أشد الخطأ .

ـــ قال هيس : أنت الوحيد ياأستاذى فى ألمانيا كلها الذى يستطيع أن يقول لهتلر : أنت مخطىء .

ـــ قال هوشوفير : ولكن هتلر لم يعد يستمع لكلامى .

وتؤكد المذكرات المنسوبة إلى هيس أن البروفيسور « كارل هوشوفير » ارتدى ملابسه بسرعة ونزل مع هيس إلى حيث اجتمعا مع الفوهرر هتلر ، وكانت مقابلة هتلر سهلة بالنسبة لهيس هوشوفير .

فوجىء هتلر بزيارة الرجلين له دون طلب منه ودون موعد سابق ، ولكنه رحب بهما . وعندما عرف هتلر بالموضوع الذى حضرا لمقابلته بشأنه أظهر

اقتناعه بوجهة نظر البروفيسور هوشوفر تماماً . إن الحرب فى جبهتين جنون . ولا يجب أن يحارب الجنس الآرى بعضه بعضاً . الألمان حقاً هم صفوة الجنس الآرى . ولكن الأنجلو ساكسون أيضاً ينتسبون إلى نفس الجنس وإن كانوا أقل نقاء لانفتاحهم على العالم واختلاطهم بالشعوب التى استعمرها البريطان فى مختلف أنحاء العالم . لقد كان من الخطأ أن تعلن ألمانيا الحرب من جانبها ضد انجلترا .

ولكن هتلر قال : ماذا كنت أستطيع أن أفعل وقد بدأت انجلترا بإعلان الحرب على ألمانيا دون أن تحتل ألمانيا شبراً من أرض انجلترا ؟ وقال هوشوفير): أما وقد حدث ما حدث ، وكسبت ألمانيا معارك كبرى تحت قيادة الفوهرر يصبح الحل السليم والطريق الوحيد لحل المعضلة هو عقد صلح عاجل مع إنجلترا قبل البدء فى هجوم على روسيا . القضاء على الشيوعية باعتبارها خطراً داهماً على الألمان لا ريب فيه ولا خلاف بشأنه . ولضمان نجاح ألمانيا فى حربها ضد الروس الشيوعيين لابد من عقد صلح مع انجلترا .

وقف هتلر وراح يتمشى ويقف فى حجرة مكتبه الواسعة جداً . وأخذ يدق الأرض بقدمه من آن لآخر ، ثم قال :

ـــ أنا لست مستعداً للحظة واحدة أن أبدى أى ضعف من جانب ألمانيا يزعزع تصميمها على سحق كل من يقف فى طريق آمالها .

ـــ قال هوشوفير : هذا يناقض ـــ ياسيدى الفوهرر ـــ كل ما استخلصناه اتفقنا عليه . ألم تكن سيدى الفوهرر مقتنعاً بما اتفقنا عليه ؟

ـــ قال هتلر : أنا مقتنع تماماً بما توصلنا إليه . ليست المسألة ياعزيزى البروفيسور هى ما إذا كنت مقتنعاً أو غير مقتنع . المسألة هى : كيف السبيل إلى تحقيق صلح مع انجلترا ؟ ما هو الطريق مع العلم بأننى كرئيس لألمانيا غير مستعد إطلاقاً للظهور أمام انجلترا على وجه الخصوص بمظهر الضعيف المتخاذل !

وساد الصمت فترة إلى أن قطعه هتلر بقوله :

ـ ما رأيكم ياسادة فى أن نقوم بعملية جس نبض ليمكن لنا التعرف على مدى استعداد إنجلترا لعقد صلح مع ألمانيا ؟

وسأل هيس بتلهف : كيف نقوم بهذه العملية ياسيدى الفوهرر ؟

قال هتلر : ليس أمامى من سبيل سوى أن أُضَمِّنَ خطابى القادم فى الرايسستاخ عرضاً للصلح . إننى سألقى خطاباً بعد خمسة أيام ، ويمكن لكما الاطمئنان أن عرضاً منِّى بالصلح سيتم التصريح به ضمن خطابى القادم بعد خمسة أيام .

وكانت الكلمات التى تضمنت عرض الصلح فى خطاب هتلر تشى فأفكار البروفيسور ''كارل هوشوفير ' إذ قال هتلر فى خطابه ذاك بالحرف الواحد :

« ينبغى على المستر تشرشل أن يصدقنى عندما أنبىء عن حدث جليل سيتم وقوعه فى المستقبل القريب . إن إمبراطورية مُعَيَّنة سوف تتحطم ، وتفقد قواها ومقومات حياتها وأمنها واستقرارها . إنها إمبراطورية لم يكن فى نيتى أبداً أن أحطمها أو ألحق الضرر بها . إننى لا أرى فى الواقع مبرراً واحداً يبرر استمرار حرب ألمانيا مع أبناء هذه الإمبراطورية . إننى أقول هذا وأنا أعلم أن ترجمة دقيقة محكمة لأقوالى هذه فى خطابى هذا يسمعها المستر تشرشل الآن » .

كانت هذه إشارة صريحة إلى أن الفوهرر هتلر يعرض الصلح على المستر تشرشل !

# مؤامرات يهود العالم

ولم يكن المستر تشرشل من السذاجة السياسية بحيث يقبل مثل هذا الصلح الذى كان هتلر يعرضه على بريطانيا . ومتى يعرض هتلر هذا الصلح ؟

إن هتلر يعرض هذا الصلح بعد أن كان قد اجتاحت جيوشه فرنسا واليونان وكل دول أوروبا تقريباً ! أى قوة على وجه الأرض ستوقف أطماع هتلر عن الامتداد إلى المستعمرات البريطانية والفرنسية وباقى العالم وقد ازدادت قوة هتلر هذه الزيادة الهائلة ؟

ولقد كانت عداوة هتلر وكراهيته لليهود إذ كان يعتبرهم غرباء على أرض ألمانيا وعلى أرض كل أوروبا ، وكان يعتبرهم بأطماعهم المالية الجشعة ومؤامراتهم العالمية السبب الرئيسى الحقيقى لهزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى !

ولو صح ــ وهو صحيح إلى حد كبير ــ أن اليهود هم السبب فى هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية ، فإن اليهود ، كبار زعماء التنظيمات السرية الماسونية اليهودية المنتشرة بانتشار اليهود فى كل أنحاء العالم ، قد أصبحت تعمل الآن ضد ألمانيا .

إن أعصاب اليهود من حديد ، قلوبهم قاسية كالحجارة أو أشد قساوة دون ريب ! وقد أخذوا فى العمل ضد ألمانيا الهتلرية . ولم تكن انتصارات هتلر على الدول الأوروبية الصغيرة ولا اجتياحه لفرنسا لترهب زعماء اليهود . إن الجيوش الألمانية تحت قيادة المارشال ''هندنبرج'' وغيره كانت قد حققت انتصارات مماثلة لانتصارات هتلر ، ومع ذلك خسرت ألمانيا الحرب العالمية الأولى !

ولا ريب أن مصالح اليهود على المستوى العالمى كانت قد تصادمت

تماماً مع مصالح ألمانيا الهتلرية ، وأصبحت المسألة على هذا النحو : إما مصالح اليهود على المستوى العالمى ، وإما مصالح هتلر !

ولا ريب أن تلتف قيادات اليهود حول أقوى أعداء هتلر ، المستر ونستون تشرشل !

كان تشرشل يتحرق شوقاً إلى أن تدخل الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية إلى جانب دول الحلفاء كما تدخلت فى الدور الأخير من الحرب العالمية الأولى فأنهت إمكانات الولايات المتحدة الأمريكية الهائلة الحرب العالمية الأولى لصالح الحلفاء . وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تتمنع تطبيقاً لمبدأ راسخ فى السياسة الأمريكية كان يقضى بعدم التورط فى مشكلات أو حروب دول أوروبا .

وطمأن زعماء يهود العالم المستر تشرشل إلى اقتراب موعد موافقة أمريكا على التدخل فى الحرب ضد ألمانيا ولصالح بريطانيا وحلفائها .

ولو أضفنا إلى ذلك حقيقة أن نظرية المجال الحيوى والمصالح الحيوية سلاح ذو حدين ، بمعنى تصادم المجالات الحيوية ولامصالح الحيوية لكل من ألمانيا وإنجلترا ، بمعنى أن كل ما يتيح مجالاً حيوياً لألمانيا ويحقق مصالحها الحيوية يتعارض ويُنقص ويقلل ويضيق من المجال الحيوى والمصالح الحيوية لبريطانيا يتضح لنا على الفور أن المستر تشرشل كان سيدمغ نفسه حكومته وشعبه بالسذاجة السياسية المنقطعة النظير لو قبل عرض هتلر بالصلح وإنهاء الحرب قبل إجبار ألمانيا على الإنسحاب من كل شبر من أى دولة أوروبية اجتاحها الجنود الألمان !

وكانت الجاليات اليهودية النشيطة فى الولايات المتحدة الأمريكية تضغط بقدرتها على التأثير فى الانتخابات الأمريكية وبقدرتها على تمويل حملات الدعاية للمرشحين للرئاسة الأمريكية ولمرشحى مجلسى النواب والشيوخ الأمريكيين وتضغط .. وتضغط لحمل الحكومة الأمريكية على كسر مبدأ عدم التدخل فى شئون أوروبا وحروبها ، ونجحت الضغوط اليهودية على الحكومة الأمريكية ليعلن روزفلت الحرب على ألمانيا ...

لكل هذه الأسباب مجتمعة رفض المستر تشرشل رفضاً تاماً قاطعاً فورياً عرض هتلر المشار إليه بالصلح بين بلديهما . ورد المستر تشرشل على خطاب هتلر فى نفس اليوم بخطاب فى البرلمان الإنجليزى قال فيه :

« إن كلام هتلر اليوم ليس فى حقيقة الأمر عرضاً للسلام ، بل هو دعوة إلى الاستسلام إنه مجرد إبداء استعداد من جانب هتلر لقبول استسلام بريطانيا ، وعدم معاقبتها من جراء تدخلها فى الحرب ضد ألمانيا من أجل المبادىء البريطانية التى يريد هتلر منا اليوم التخلى عنها ، وهو أمر يستحيل على انجلترا القبول به .. » .

نعم . كان يستحيل على إنجلترا القبول باستفحال المجال الحيوى الألمانى كى تتحقق المصالح الحيوية الألمانية على حساب المجال الحيوى البريطانى وعلى حساب المصالح الحيوية البريطانية واليهودية والأمريكية والروسية . وهل تعدو المصالح الحيوية أن تكون شيئاً آخر سوى الأطماع الدنيوية للبشر عندما يغريهم ''حطام الدنيا'' بإعلان الحروب العالمية من أجل المصالح الحيوية إن شئت أو المصالح الدنيوية إن أردت ، وهى مصالح تتعلق بحكم طبيعتها بما نعرفه ــ نحن المسلمين ــ باعتبار أنه حطام الدنيا .